كلية الكوت الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر

العروة الوثقى

لا انفصام لها

لمدير سياستها

السيد جمال الدين الافغاني

ومحررها الاول

الشيخ محمد عبده

(القسم الاول)

١٣٢٨هـ

طُبعت بحسب النسخة الاصلية
دون تبديل او تصحيح
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر

كلية الكوت الجامعة

٠٤/ ٩٦٢

أ ٧٧٢ الافغاني، جمال الدين

العروة الوثقى لا انفصام لها/ جمال الدين

الافغاني، محمد عبده. - ط١. بغداد:

مطبعة الرفاه، ٢٠٢٣م.

ق٢ (٢٢٨ ص) ؛ ٢٤ سم.

١. مصر - تاريخ - الاحتلال البريطاني

٢. السودان -تاريخ أ. عبده، محمد (م. م.) ب. العنوان

م. و.

٢٠٢٣/ ١٦٨٥

المكتبة الوطنية/الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

١٦٨٥ لسنة ٢٠٢٣ م

الرقم الدولي: ISBN: 978-9922-685-38-0

ملاحظة

مركز البحوث والدراسات والنشر في كلية الكوت الجامعة
غير مسؤول عن الافكار والرؤى التي يتضمنها الكتاب
والمسؤول عن ذلك الكاتب او الباحث فقط.

مطبعة الرفاه

07902823204

العروة الوثقى

لا انفصام لها

مديرها السيد جمال الدين الافغاني

ومحررها الاول الشيخ محمد عبده

طبعت على نفقة حسين محيي الدين الحبال

حقوق اعادة الطبع محفوظة له

طبعت بمطبعة التوفيق في بيروت لصاحبها = نسيب صبرا سنة ١٣٢٨

مقدمة الطابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام عَلَى من لا نبي بعده امـا بعد فلا مراء في ان السيد جمال الدين الافغاني هو حكيم الشرق الذي نفح فيه تلك الروح العالية روح النهضة التي لا نزال نرى ذراتها سارية في الطبقة الراقية من بني الشرق ولا بدع فهو السياسي الكبير الذي كانت حياته كلها مملوءة باعاظم الاعمال · حيث جاب وجال · ولو لم يكن من تلامذته الا الاستاذ الشيخ محمد عبده لكفاه فخراً وشرفاً ومن اكبر اعمال حياته السياسية انشاؤه جريدة (العروة الوثقى) التي تعد الحجر الاول او (حجر الزاوية) للنهضة الشرقية عامة

تلك الجريدة التي كادت تزعزع اقدام السيطرة الانكليزية عن الهند ومصر في مقالاتها الرنانة التي جابت الافاق و كادت تخرق السبع الطباق

تلك الجريدة التي كان يتلقاها العالم الشرقي بوجه عام والاسلامي بوجه خاص كأنها وحي سماوي او الهـام آلهي انزل على دماغ جمال الدين وسال عَلَى يراع الشيخ « محمد عبده »

تلك الجريدة التي لم تقو حرية ام الحرية «انكلترا» على احتمالها واتساع صدرها لها في حين انها وسعت اكثر الجرائد حرية واكثرها تطرفاً فمنعتها من الهند ومصر والسودان واستصدرت الاوامر بمنعها من سائر البلاد التي لها فيها نفوذ او تطمح الى ان يكون لها ذاك النفوذ

تلك الجريدة التي لم يكف انكلترا منعها من تلك البلاد لان اشعة نورها كانت وهاجة تخرق الحجب . وتنفذ الاغشية وتدخل الى اعماق القلوب . فاستعملت الوسائل لمحوهـا من عالم الوجود واطفاء نورها الذي كان يبدد ظلمات الاعتساف

تلك الجريدة التي تعد ام الجرائد الحاضرة عَلَى الاطلاق والتي لم يزل الناهضون من بني الشرق يسيرون في دعوتهم الى النهوض عَلَى اثرها

هي الجريدة التي نمثلهـا اليوم الى العالم الشرقي مجلوة على منصة الطبع حرصاً على فوائدها الثمينة من ان تغتالها ايدي الضياع

اصدر السيد جمال الدين من هذه الجريدة ثمانية عشر عدداً وهي التي مثلناها برمتها للطبع ولم نغفل منها شيئاً حتى ولا الاخبار البسيطة لاننا نعتقد ان جل منشورات هذه الجريدة ان لم نقل كلها لاتخلو من فائدة او عبرة او موعظة

والذي كان العضد الاقوى للسيد في نشر هذه الجريدة عالمان كبيران احدهما الاستاذ الشيخ «محمد عبده» الذي كان يراعه يدبج

تلك المقالات الرائعة والثاني الميرزا «محمد باقر» البواناتي والد صديقنا صاحب « المنتقد » الذي كان في لوندره يعرب عن الصحف الاجنبية كل ما يهم العالم الشرقي نشره مما فيه العظة والاعتبار و يرسله الى «العروة الوثقى» في باريز

ولا بد ان العالم الشرقي يتوق الى ترجمة حال هؤلاء العلماء الافاضل ولذلك رأينا ان ننقل له ترجمة السيد جمال الدين ملخصة عن ترجمة تلميذه الشيخ « محمد عبده » له في رسالة الرد على الدهريين وان ننقل ترجمة الاستاذ الشيخ « محمد عبده » ملخصة عن الجزء الثاني من تاريخه وان ننقل ترجمة الميرزا محمد باقر البواناتي عن تلميذه المستشرق الشهير ادوارد برون

وهاك ترجمة السيد جمال الدين

هو السيد محمد جمال الدين ابن السيد صفتر من بيت عظيم في بلاد الافغان . وآل البيت عشيرة وافرة العدد تقيم في خطة « كنر » من اعمال كابل تبعد عنها مسيرة ثلاثة ايام ولهذه العشيرة منزلة علية في قلوب الافغانيين و كانت لها سيادة على جزء من الاراضي الافغانية تستقل بالحكم فيه وانما سلب الامارة من ايديها دوست محمد خان جد الامير الحالي وامر بنقل ابى السيد جمال الدين وبعض اعمامه الى مدينة كابل

ولد السيد جمال الدين في قرية (اسعدآباد) من قرى كنر سنة ١٢٥٤ هجرية وانتقل بانتقال ابيه الى مدينة كابل وفي السنة

الثامنة من عمره اجلس للتعلم وعنى والده بتربيته · وتلقى علوما جمة برع في جميعها فمنها العلوم العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وكتابة وتاريخ عام وخاص ومنها علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه واصول فقه وكلام وتصوف ومنها علوم عقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية وتهذيبية وحكمة نظرية طبيعية وآلهية ومنها علوم رياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة افلاك ومنها نظريات الطب والتشريح · اخذ جميع تلك الفنون عن اساتذة ماهرين عَلَى الطريقة المعروفة في تلك البلاد وعَلَى ما في الكتب الاسلامية المشهورة واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشرة من سنه ثم عرض له سفر الى البلاد الهندية فاقام بها سنة وبضعة اشهر ينظر في بعض العلوم الرياضية عَلَى الطريقة الاوربية الجديدة واتى بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لاداء فريضة الحج وطالت مدة سفره اليها نحو سنة وهو ينتقل من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر حتى وافى مكة المكرمة في سنة ١٢٧٣ فوقف على كثير من عادات الامم التي مرَّ بها في سياحته واكتنه اخلاقهم واصاب من ذلك فوائد غزيرة ثم رجع بعد اداء الفريضة الى بلاده ودخل في سلك رجال الحكومة على عهد الامير دوست محمد خان ثم لامور سياسية يطول سردها اضطر ان يفارق بلاد الافغان فاستأذن للحج فأذن له فارتحل عَلَى طريق الهند سنة ١٢٨٥ فلما وصل الى التخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة في اجلال الا انها لم تسمح له بطول الاقامة في

بلادها فلم يقما اكثر من شهر ثم سيرته من سواحل الهند في احد مراكبها عَلَى نفقتها الى السويس فجاء الى مصر واقام بها نحو اربعين يوما تردد فيها على الجامع الازهر وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ومالوا اليه كل الميل وسألوه ان يقرأ لهم شرح الاظهار فقرأ لهم بعضاً منه في بيته ثم تحول عن الحجاز عزمه وتعجل بالسفر الى الاستانة

وصل الاستانة و بعد ايام من وصوله امكنته ملاقاة الصدر الاعظم عالي باشا ونزل منه منزلة الكرامة وعرف له الصدر فضله و بعد ستة اشهر سمي عضوا في مجلس المعارف فادى حق الاستقامة في ارائه واشار الى طرق لتعميم المعارف لم يوافقه عَلَى الذهاب اليها رفقاؤه .

ثم لامور سياسية او دينية حسن الصدارة اليه الجلاء عن الاستانة ان شاء ففارق الاستانة وحمله بعض من كان معه على التحول الى مصر فجاء اليها في اول المحرم سنة ١٢٨٨

مال السيد جمال الدين الى مصر عَلَى قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها ولم تكن له عزيمة على الاقامة بها حتى لاقى صاحب الدولة رياض باشا فاستمالته مساعيه الى المقام واجرت عليه الحكومة وظيفة الف قرش مصري كل شهر نزلا اكرمته به لا في مقابلة عمل واهتدى اليه بعد الاقامة كثير من طلبة العلم وحملوه على تدريس الكتب فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الا عَلَى والحكمة النظرية طبيعية وعقلية وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم اصول الفقه

الاسلامي و كانت مدرسته بيته من اول ما ابتدأ الى آخر ما اختتم ولم يذهب الى الازهر مدرساً ولا يوماً واحداً نعم كان يذهب اليه زائراً واغلب ما كان يزوره يوم الجمعة . ثم وجه عنايته لحل عقل الاوهام عن قوائم العقول وحمل تلامذته عَلَى العمل في الكتـــابة وانشاء الفصول الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظره و برعوا وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيه

ثم لم يزل شأنه في ارتفاع والقلوب عليـه في اجتماع الى ان تولى خديوية مصر المغفور له توفيق باشا و كان السيد من المؤيدين لمقاصده الا ان بعض المفسدين سعى فيه لدى الجنـاب الخديوي ونقل المفسد عنه ما الله يعلم انه بريء منه حتى غير قلب الخديوي عليـه فاصدر امره باخراجه من القطر المصرـــي هو وتابعـه ابو تراب ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ واقام بحيدر اباد الدكن

ولما كانت الفتنة العرابيه بمصر دعى من حيدر آباد الى كلكتـه والزمته حكومة الهند بالاقامة فيها حتى انقضى امر مصر وفثأت الحرب الانكليزية ثم أبيح له بالذهاب الى اي بلد فاختار الذهاب الى اوربا واول مدينة اصعد اليها مدينة لوندره اقام بها اياماً قلائل ثم انتقل عنهـا الى باريز واقام بها ما يزيد عَلَى ثلاث سنوات ثم كلفتـه جمعية العروة الوثقى ان ينشيء جريدة تدعو المسلمين الى الوحدة تحت لواء الخلافة الاسلامية ايدها الله

فانشأ الجريدة التي نمثلها للطبع ونشر من الجريدة ثمانية عشر عدداً وقد أخذت من قلوب الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً ما لم يأخذه قبلها وعظ واعظ ولا تنبيه منبه ثم قامت الموانع دون الاستمرار في اصدارها حيث قفلت ابواب الهند عنها واشتدت الحكومة الانكليزية في إعنات من تصل اليهم فيه ثم بقي بعد ذلك مقيما باوربا اشهراً في باريز واخرى في لوندره الى اوائل شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٣ وفيه رجع الى البلاد الايرانية

اما مذهب الرجل فحنيفيٌ حنفيٌ وهو وان لم يكن في عقيدته مقلد لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميل الى مذهب السادة الصوفية رضي الله عنهم

اما مقصده السياسي الذي قد وجه اليه افكاره واخذ عَلَى نفسه السعي اليه مدة حياته وكل ما اصابه من البلاء اصابه في سبله فهو انهاض دولة اسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام عَلَى شؤونها حتى تلحق الامة بالامم العزيزة والدولة بالدول القوية فيعود للاسلام شأنه وللدين الحنيفي مجده ويدخل في هذا تنكيس دولة بريطانيا في الاقطار المشرقية وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الاسلامية وله في عداوة الانكليز شؤون يطول بيانها

وبالجملة فاني لو قلت ان ما اتاه الله من قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو اقصى ما قدر لغير الانبياء لكنت غير مبالغ : ذلك

فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

أما اخلاقه فسلامة القلب سائدة في صفاته وله حلم عظيم يسع ماشاء الله ان يسع الى ان يدنو منه احد ليمس شرفه أو دينه فينقلب الحلم الى غضب وهو كريم يبذل مابيده قوى الاعتماد عَلَى الله لايبالى ماتأتي به صروف الدهر عظيم الامانة سهل لمن لاينه صعب عَلَى من خاشنه طموح الى مقصده السياسي الذي قدمناه اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول اليه وكثيراً ما كان التعجل علة الحرمان

أما خلقه فهو ربعة في طوله وسط في بنيته قمحي في لونه عصبي دموي في مزاجه عظيم الرأس في اعتدال عريض الجبهة في تناسب واسع العينين عظيم الاحداق ضخم الوجنات رحب الصدر جليل في النظر هش بش عند اللقاء

وقد يتوسع في اتيان بعض المباحات كالجلوس في المنتزهات العامة والاماكن المعدة لراحة المسافرين وتفرج المحزونين لكن مع غاية الحشمة وكمال الوقار وكان مجلسهُ في تلك المواضع لايخلو من الفوائد العلمية فكان بعيداً من اللغو منزهاً عن اللهو

ترجمة الشيخ محمد عبده

ولد الفقيد الكريم من ابوين فقيرين من اهالي محلة « نصر » بالغربية كان يضرب بها المثل في الورع والشهامة واكرام الضيف

ولد رحمه الله عام ١٨٤٥ فلما بلغ السابعة من عمره ظهرت عليه علائم النجابة والذكاء فلم يشاء ابوه له ان يكون فلاحاً كأخوته بل شاء ان يعلمه فادخله الى كتاب في القريه فاختلف اليه الفقيد مكرهاً ولم يدع احداً من اهل القرية الا توسل به الى ابيه ان ينظمه في سلك اخوته فلاحاً فكان يأبى عليه ذلك ويصر على تعليمه اصرارا . وكانت النتيجة من هذا وذاك ان الفقيد رحمه الله لبث بهذا الكتاب ثلاث سنين لا يحفظ مما يلقي الفقيه حرفاً

وفي عام ١٨٤٨ ادخله ابوه الى الجامع الاحمدي فلبث به ثلاث سنين اخرى كانت النتيجة منها مثل الاولى . فلما اعيى اباه امره ارسله الى الجامع الازهر فمكث فيه عامين ولا يدري مما يلقن شيئاً

قال الاستاذ في تعليل ذلك ان الذي كان يعوقني عن تفهم المقصود من هذه الشروح والمتون ثلاثة امور . الاول رغبتي في ان اكون مثل اخوتي فلاحاً وعدم وجود الوسائل التي ترغبني في العلم . والثاني اخلال نظام التدريس بحيث كنت اسمع الشيخ وهو يدرس

فاحسبه يتكلم بلغة اجنبية · والثالث ما اتفق عليه الطلبة من مضايقة معدهم بالاغذية الضارة مما يكون منه اعتلال الجسم والفكر معاً

فلما لم يجد الاستاذ مناصاً من ارادة ابيه خلا بنفسه واجتمع بفكره وذكائه فهان الامر بعد ذلك عليه واصبح ما يحصله رحمه الله في يوم واحد من هذه الدروس المعقدة المشوشة مثلما يحصله سواه في عام او عامين · ومما يروى عن ذكائه انهُ لم يمر عليه شهر في درس كتاب الكفراوي في النحو حتى بدا له شيء من غلط الكتاب وتناقضه في بعض المواضع فنبه شيخه الى ذلك فاعترف معه به ولكنه قال انما ندرس هذا الكتاب تبركاً

ثم جاء السيد جمال الدين الافغاني الى مصر فاجتمع به الفقيد واخذ عنه كثيراً من فلسفته وعلمه وكان السيد جمال الدين يقول عنه انه انجب تلاميذه وانه لمصر اقوى من اسطول واعز من جيش · وقد لبث جمال الدين بمصر عشر سنين فكان الاستاذ ساعده الايمن لا يكتب السيد موضوعاً علمياً الا بروح الفقيد وقلمه ولا يجادل جدالاً فلسفياً الا كان فيه شيء من ذكائه وفكره · ولما طرد السيد جمال لدين قال « وهو في سجن السويس منتظراً الباخرة التي تحمله منفياً » اني تركت الشيخ محمد عبده وكفاه لمصر عالماً

وكانت اولى الوظائف التي تولاها تحرير الوقائع المصرية ثم عين مديراً للمطبوعات المصرية ولما عزل اسماعيل باشا وتولى رئاسة

النظار رياض باشا قرب الفقيد اليه واتخذه مستشاراً ثم كان ما كان من الثورة العرابية فبذل جهده في اقناع اهلها بسوء عاقبتها حتى هموا كثيراً بقتله

ثم هدأت الثورة بعد الاحتلال فاتهم الفقيد بانه كان من رجالها فنفي الى الشام فلبث فيها عاماً ثم دعاه السيد جمال بن الافغاني الى مدينة باريس فأصدر بها جريدة (العروة الوثقى) وهي التي نمثلها للطبع الان ثم عاد الى مصر بعد ان تبينت براأته للحكومة المصرية فعين قاضياً جزائياً في المحاكم الاهلية ثم مستشاراً في محكمة الاستئناف ثم عين مفتياً للديار المصرية . اما اعماله النافعة فكثيرة لا يحيط بها بيان نذكر منها تدريسه القرآن الشريف بما لم يسبقه اليه احد حتى كان شرحه له تفسيره شرحاً علمياً عصرياً خالياً مما حشاه السابقون . ومنها اعماله في مجلس الشورى وهي كل حسناته هذا عدا الافتاء والتأليف الذي منها رسالة التوحيد الشهيرة وتفسير جزء (عمّ) وتعريب الرد على الدهريين . ولم يقف عند هذا الحد رحمه الله من الاعمال النافعة بل وجه نظره الشريف الى الازهر فاصلح ما قدر على اصلاحه و كان والمرض يساوره يشتغل بمشروع مدرسة تخريج القضاة الشرعيين ثم انه كان فوق هذه الاشغال الكبيرة يكاتب المجلات باعظم الموضوعات الادبية والعلمية مما كان له شأن كبير في العالم كله نذكر من ذلك رده على المسيو هانوتو وعلى بعض مقالات ظهرت في الجامعة . وله عدا ذلك كله اعمال انسانية انتفع

بها خلق كثير

هذه اعماله اجمالاً . اما اخلاقه فقد كان حليماً واسع الصدر كريم النفس . فما قصده ذو حاجة الا سعى له سعيها حتى يقضيها له وما اساء اليه انسان الا اجتهد ان يقابل الاساءة منه بالاحسان فقد كان انجال المشايخ في الازهر يتناولون مرتبات ابائهم بالوراثة فرأى الاستاذ في ذلك غبناً للعلماء لان هذه المرتبات انما هي وقف عليهم فاعاده الاستاذ اليهم وعوض انجال المشايخ عنها بما كان يجمعه لهم بسعيه في رأس كل شهر من امواله واموال محبيه . ولقد شوهد وهو ساعٍ هذا السعي عقيب اعتزاله الازهر وقيام الشيوخ في وجهه محاربين فأعظم بهذا اكراماً وحلماً

ولقد كان رحمه الله وطنياً بحقيقة معنى الوطنية وكان لا ينى له عزم في كل ادوار حياته عن ترقية الامة واصلاح شؤونها . وله حسنات غير ذلك كثيرة تدل على ان الرجل رحمه الله كان كبير الهمة واسع العلم شديد الغيرة على الامة والبلاد

ترجمة الميرزا باقر

نشأ العلامة الفيلسوف الميرزا باقر في بلاد فارس وتنقل الى الهند والصين و بخارى والبلاد الانكليزية والايطالية والافرنسية ثم جاء بغداد والعراق ومنها الى لوندره ومن ثم الى بيروت حيث مكث بها زهاء ثلاث سنوات تزوج في اثناءها ثم غادر بيروت مغضوباً عليه من الحكومة العثمانية متهماً بمسائل سياسية كبرى الى بلاد فارس ومكث في طهران زهاء سنتين ثم توفي رحمه الله وترك ارثاً من الكتب النفيسة من مؤلفات ومخطوطات وغيرها يندران تحوي مثلها مكتبة في الشرق .

هذا واننا نكتفي من ترجمة حياته بشذرة من كتاب ارسله العلامة المستشرق الشهير الدكتور ادوارد برون الى نجله الصغير صديقنا الميرزا محمد الباقر منشئ مجلة «المنتقد» وصاحب «المطبعة العصرية» في بيروت قال المستشرق بعد التحية والسلام والاعتذار من التقصير :

لقد فرحت كثيراً بما اخبرتموني به من كونكم نجل استاذي الفاضل العلامة المرحوم الميرزا محمد باقر الشهير بابراهيم جان معطر لانه كان رحمه الله اول اساتذتي حينما اشتغلت بتحصيل علوم الشرق في اول شبابي وعنفوان حياتي وما زلت اتذكر فضائله وخصائله منذ فراقنا حينما سافر الى بيروت قبل خمس وعشرين سنة اما معرفتي به فكانت

في سنة ١٨٨٣ او ١٨٨٣ (١٣٠٠ او ١٣٠١) وصاحبته كثيراً في تلك الايام وقرأت معه كثيراً من القرآن الشريف ومن اشعاره الفارسية «الشمسة اللندية» وتفسيراً منظوماً بالفارسية على القرآن والاول قد طبع هنا «اي في لوندره» والثاني لم يطبع ابداً ولكنه اعطاني نسخته الخطية قبيل ذهابه بعد ماقرأت الكل معه واطلعت على اشاراته ورموزه وهذه الاشعار هي في غاية الاشكال بل لايمكن الاطلاع على مضامينها الا لمن قرأها مع صاحبها والسبب في ذلك انه كان يشير الى ما قد رآه في عالم المثال او المنام والى الاحوال السياسيـة الجارية والى اسماء الوزراء والوكلاء وغيرهم من المعاصرين وربما كان يترجم اسماءهم من الانكليزية الى الفارسية مثل مايقول

سنكِ بهيجت بهيج نام نيرزد شنك وهيجت بچنك ننك درآمد

ومقصده من سنك بهيج «غلادستون» الذي كان الصدر الاعظم في هذه الايام اعني ايام استيلاء الانكليز بين على مصر ومقصده من شنك وهيج (بريت) وكان هذا ايضاً من الوزراء وترجم كل اسم تحت اللفظ وجعله رمزاً لايفهمه الا من له اطلاع كامل على الامور السياسية في ذلك الوقت وايضاً كان رحمه الله عالماً جداً في العلوم الدينية وفي الالسنة القديمة والحديثة مثل العبرانية واليونانية والانكليزية والعربية والفارسية والهندية الخ . كان يتكلم الانكليزية بغاية الفصاحة ويكتبها على اساليب الفلاسفة والعلماء (وكذا كان في بقية اللغات) وكان سريع التكلم جداً لايسكت ولو دقيقة واحدة حتى حين الاكل

كان يترك الطعام على الطبقة حتى يصير بارداً وكان مهيباً في شدته خاف منه اكثر الفرس وغيرهم حتى البرنس ملكم خان الذي كان سفير العجم في لندن في تلك الايام (وهو المصلح العظيم مؤسس النهضة الكبرى في فارس)

هذا ما رآه المستشرق الكبير الدكتور برون من الفيلسوف العلامة الميرزا باقر اما ماحدثه به فيضيق عنه نطاق هذا الكتاب لغرابته واهميته

كان الميرزا باقر ذا آمال يضيق عنها صدر الانسانية الان ولا يطمع بها اعظم شارعي العالم ومصلحيه . اذ اراد الميرزا المشار اليه ان يجعل الدين في العالم واحداً ليسود السلام والسكينة بين الناس فاعتنق جميع الاديان والمذاهب يختبر غثها من سمينها وينتخب مايوافق هذا العصر فلم ير غير الاسلام ديناً يقبله العقل ويتسع له صدر المدنية فالف الكتب والرسائل العديدة في اللغات الاجنبية يدعو الغربيين الى الاعتقاد به بكلام عذب قلما اتى او يأتي احد ببلاغته وسلاسته وجم براهينه وكان قوي الحجة لدرجة باهرة جداً

حدث بعضهم عن العلامة التركي الشهير احمد مدحت افندي انه كان لايمكن لاحد مهما اوتي من العلم والعرفان ان يقنعه بالرجوع عن رأيه حتى اجتمع بالميرزا باقر في بغداد فاقنعه بمدة لاتتجاوز بضعة دقائق وخرج من عنده مقراً له بالفضل والحجة البالغة

هذا اختصار من ترجمة حياة الميرزا ومن اراد التفصيل فليرجع الى مجلة المنتقد في سنتها الثانيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم الخميس في ١٥ جمادى الاولى ١٣٠١ و ١٣ مارس سنة ١٨٨٤

ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير هذا ما تمده العناية الالهية من قول الحق · متعلقاً باحوال الشرق · وعلى الله المتكل · في نجاح العمل

خفيت مذاهب الطامعين ازماناً ثم ظهرت · بدأت على طرق ربما لاتنكرها الانفس ثم التوت · اوغل الاقوياء من الامم في سيرهم بالضعفاء حتى تجاوزوا بيداء الفكر وسحروا البابهم حتى اذهلوهم عن انفسهم وخرجوا بهم عن محيط النظر وبلغوا بهم من الضيم حدا لا تحتمله النفوس البشرية

ذهب اقوام الى ما يسوله الوهم ويغري به شيطان الخيال فظنوا ان القوة الآلية وان قل عمالها يدوم لها السلطان على الكثرة العددية وان اتفقت آحادها بل زعموا انه يمكن استهلاك الجم الغفير في النزر اليسير وهو زعم يأباه القياس بل يبطله البرهان فان تقلبات الحوادث في الازمان البعيدة والقريبة ناطقة بانه ان ساغ ان عشيرة قليلة العدد فنيت في سواد امة عظيمة ونسيت تلك العشيرة اسمها ونسبتها فلم يجز في زمن من

الازمان احياء امة او ملة كبيرة بقوة امة تماثلها في العدد او تكون منها على نسبة متقاربة وان بلغت القوة اقصى ما يمثله الخيال

والذي يحكم به العقل الصريح ويشهد به سير الاجتماع الانساني من يوم علم تاريخه الى اليوم ان الامم الكبيرة اذا عراها ضعف لافتراق في الكلمة او غفلة عن عاقبة لا تحمد او ركون الى راحة لا تدوم او افتتان بنعيم يزول ثم صالت عليها قوة اجنبية ازعجتها ونبهتها بعض التنبيه فاذا توالت عليها وخزات الحوادث واقلقتها آلامها فزعت الى استبقاء الموجود ورد المفقود ولم تجد بدا من طلب النجاة من اي سبيل وعند ذلك تحس بقوتها الحقيقية وهي ما تكون بالتئام افرادها والتحام آحادها وان الالهام الالهي والاحساس الفطري والتعليم الشرعي ترشدها الى ان لا حاجة لها الى ما وراء هذا الاتحاد وهو ايسر شيء عليها

ان النفوس الانسانية وان بلغت من فساد الطبع والعادة ما بلغت اذا كثر عديدها تحت جامعة معروفة لا تحتمل الضيم الا الى حد يدخل تحت الطاقة ويسعه الامكان فاذا تجاوز الاستطاعة كرت النفوس الى قواعها واستأسد ذئبها ونمر ثعلبها والتمست خلاصها ولن تعدم عند الطلب رشادا

ربما تخطى مرة فتكون عليها الدائرة . لكن ما يصيبها من زلة الخطأ يلهمها تدارك ما فرط والاحتراس من الوقوع في مثله

فتصيب اخرى فيكون لها الظفر والغلبة وان الحركة التي تبعث لدفع ما لا يطاق اذا قام بتدبيرها قيم عليها ومدبر لسيرها لا يكفي في توقيف سريانها او محو آثارها فهو ذاك القيم واهلاك ذلك المدبر فان العلة ما دامت موجودة لا تزال آثارها تصدر عنها فان ذهب قيم خلفه آخر اوسع منه خبرة وانفذ بصيرة . نعم يمكن تخفيف الاثر اوازالته بازالة علته ورفع اسبابه

جرت عادة الامم ان تأنف من الخضوع لمن يباينها في الاخلاق والعادات والمشارب وان لم يكلفها بزائد عما كانت تدين به لمن هو عَلَى شاكلتها فكيف بها اذا حملها ما لا طاقة لها به . لا ريب انها تستنكره وان كانت تستكبره وكلما انكرته بعدت عن الميل اليه وكلما تباعدت منهُ لجهة كونه غريباً تقرب بعضها من بعض فعند ذلك تستصغره فتلفظه كما تلفظ النواة وما كان ذلك بغريب

ان مجاوزة الحد في تعميم الاعتداء تنسي الامم ما بينها من الاختلاف في الجنسية والمشرب فترى الاتحاد لدفع ما يعمها من الخطر ألزم من التحزب للجنس والمذهب وفي هذه الحالة تكون دعوة الطبيعة البشرية الى الاتفاق اشد من دعوتها اليه للاشتراك في طلب المنفعة

ابعد هذا يأخذنا العجب اذا احسسنا بحركة فكرية في اغلب

انحاء المشرق في هـذه الايام · كل يطلب خلاصاً و يبتغي نجاة و يتحل لذلك من الوسائل والاسباب ما يصل اليه فكره عَلَى درجته من الجودة والافن وان العقلاء في كثير من اصقاعه يتفكرون في جعل القوى المتفرقة قوة واحدة يمكن لها القيام بحقوق الكل

بلى كان هذا امرا ينتظره المستبصر وان عمي عنه الطامع وليس في الامكان اقناع الطامعين بالبرهان ولكن ما يأتي به الزمان من عاداته في ابنائه بل ما يجري به القضاء الالهي من سنة الله في خلقه سيكشف لهم وهمهم فيما كانوا يظنون

بلغ الاجحاف بالشرقيين غايته ووصل العدوان فيهم نهايته وادرك المتغلب منهم نكايته خصوصاً في المسلمين منهم فمنهم ملوك انزلوا عن عروشهم جوراً وذوو حقوق في الامرة حرموا حقوقهم ظلماً واعزاء باتوا اذلاء واجلاء اصبحوا حقراء واغنياء امسوا فقراء واصحاء اضحوا سقاماً واسود تحولت نعاماً ولم تبق طبقة من الطبقات الا وقد مسها الضر من افراط الطامعين في اطماعهم خصوصاً من جراء هذه الحوادث التي بذرت بذورها في الاراضي المصرية من نحو خمس سنوات بايدي ذوي المطامع فيها · حملوا الى البلاد مالا تعرفه فدهشت عقولها وشدوا عليها بما لا تألفه فخارت البابها والزموها ماليس في قدرتها فاستعصت عليه قواها وخضدوا من شوكة الوازع تحت اسم العدالة ليهيئوا بكل ذلك وسيلة لنيل المطمع فكانت الحركة العرابية العشواء فاتخذوها ذريعة لما كانوا

له طالبين فاندفع بهم سيل المصاعب بل طوفان المصائب على تلك البلاد وظنوا بلوغ الارب ولكن اخطأ الظن وهموا بما لم ينالوا

لم تكد تخمد تلك الحركة في بادى النظر حتى خلفتها حركة اخرى وفتح باب كان مسدودا وقام قائم بدعوة لها المكانة الاولى في نفوس المسلمين بل هي بقية آمالهم ولا ندري الآن ماذا تستعقبه هذه الحركة الجديدة وربما يوجد من يدرى ان مسببيها في حيرة من تلافيها ، نعم انهم غرسوا غرساً الا انهم سيجنون او هم الآن يجنون منه حنظلا ويطعمون منه زقوماً . لاجرم هذه هي العواقب التي لا محيص عنها لمن يغالي في طمعه ويغلغل في حرصه ولو انهم تركوا الامر من ذاك الوقت لاربابه وفوضوا تدارك كل حادث للخبراء به والقادرين عليه العارفين بطرق مدافعته اواقتناء فائدته لحفظوا بذلك مصالحهم ونالوا ما كانوا يشتهون من المنافع الوافرة بدون ان تزل لهم قدم او ينكس لهم علم

غير انهم ركبوا الشطط وغرهم ما وجدوا من تفرق الكلمة وتشتت الاهواء وهو انفذ عواملهم واقتلها وما علموا انه وان كان زريع الفتك الا انه سريع العطب وما اسرع ان يتحول عند اشتداد الخطوب الى عامل وحدة يسدد لقلوب المعتدين فان بلاء الجور اذا حل بشطر من الامة وعوفي منه باقيها كانت سلامة البعض تعزية للمصابين وحجاب غفلة للمسالمين يحول بينهم وبين الاحساس بما اصاب اخوانهم

اما اذا عمّ الضرر فلا محالة يحيط بهم الضجر ويعز عليهم الصبر فيندفعون الى ما فيه خيرهم ولا خير فيه لغيرهم

ان الحالة السيئة التي اصبحت فيها الديار المصرية لم يسهل احتمالها على نفوس المسلمين عموماً . ان مصر تعتبر عندهم من الاراضي المقدسة ولها في قلوبهم منزلة لا يحلها سواها نظرا لموقعها من الممالك الاسلامية ولانها باب الحرمين الشريفين فان كان هذا الباب امناً كانت خواطر المسلمين مطمئنة على تلك البقاع والا اضطربت افكارهم وكانوا في ريب من سلامة ركن عظيم من اركان الديانة الاسلامية ان الخطر الذي الم بمصر نغرت له احشاء المسلمين وتكلمت به قلوبهم ولن تزال الآمه تستفزهم ما دام الجرح نغارا . وما هذا بغريب على المسلمين فان رابطتهم المليّة اقوى من روابط الجنسية واللغة وما دام القرآن يتلى بينهم وفي آياته ما لا يذهب على افهام قارئيه فلن يستطيع الدهر ان يذلهم . ان الفجيعة بمصر حركت اشجاناً كانت كامنة وجددت احزاناً لم تكن في الحسبان وسرى الألم في ارواح المسلمين سريان الاعتقاد في مداركهم وهم من تذكار الماضي ومراقبة الحاضر يتنفسون الصعداء ولا نأمن ان يصير التنفس زفيراً بل نفيراً عاماً بل يكون صاخة تمزق مسامع من اصمه الطمع .

ان اولى المتغلبين بالاحتراس من هذه العواقب جيل من الناس لا كتائب له في فتوحاته الا المداهاة ولا فيالق يسوقها للاستملاك

سوى المحاباة ولا اسنة يحفظ بهـا ما تمتد اليه يده الا المراضاة يظهر بصور مختلفة الالوان متقاربة الاشكال كحافظ عروش الملوك والمدافع عن ممالكهم ومثبت مراكز الامراء ومسكن الفتن ومخلص الحكومات من غوائل العصيان وواقي مصالح المغلوبين فكان اول ما يجب عليه ملاحظته في سيره هذا ان لا يأتي من اعماله بما يهتك هذا الستر الرقيق الذي يكفي لتمزيقه رجع البصر وكر النظر وان يتحاشى العنف مع امة يشهد تاريخها بانها اذا حنقت خنقت وليس له ان يغتر بعدم مكنتهم وهو يعلم ان الكلمة اذا اتحدت لا تعوزها الوسائط ولا يعدم المتحدون قوياً شديد الباس يساعدهم بما يلزمهم لترويج سياسته وان المغيظ لا يبالي في الايقاع بمناويه اسلم او عطب فهو يضر ليضروا أن مسه الضر

الا ان غشية النهم ذهبت بعقول المنهومين ووقرت اسماعهم عن حسيس الهمسات المتراسلة من الهند الى مكة ومن مكة الى مصر والكرير الممتد من مصر الى مكة ومن مكة الى الهند وكلها تتلاقى بين تراقي المغرورين بقوتهم المسترسلين في جفوتهم

ان الرزايا الاخيرة التي حلت باهم مواقع الشرق جددت الروابط وقاربت بين الاقطار المتباعدة بحدودها المتصلة بجامعة الاعتقاد بين ساكنيها فايقظت افكار العقلاء وحولت انظارهم لما سيكون من عاقبة امرهم مع ملاحظة العلل التي ادت بهم الى ما هم فيه فتقاربوا في النظر وتواصلوا في طلب الحق وعمدوا الى معالجة الحق وعلل الضعف

راجين ان يسترجعوا بعض ما فقدوا من القوة ومؤملين ان تمهد لهم الحوادث سبيلا حسناً يسلكونه لوقاية الدين والشرف وان في الحاضر منها لنهزة تغتنم واليها بسطوا اكفهم ولا يخالونهـا تفوتهم ولئن فاتت فكم في الغيب من مثلها والى الله عاقبة الامور ٠

تالفت عصبات خير من اولئك العقلاء لهـذا المقصد الجليل في عدة اقطار خصوصاً البلاد الهندية والمصرية وطفقوا يتحسسون اسباب النجاح من كل وجه ويوحدون كلمة الحق في كل صقع لا ينون في السعي ولا يقصرون في الجهد ولو افضى بهم ذلك الى اقصى مـا يشفق منه حي عَلَى حياته ٠

ولما كانت بدايتهم تستدعي مساعدة من يضارعهم في مثل حالهم رأوا ان يعقدوا الروابط الاكيدة مع الذين يتململون من مصابهم ويحبون العدالة العامة ويحامون عنها من اهالي اوربا وكتبوا عَلَى انفسهم النظر في امر السلطة العامة الاسلامية وفروض القائم بها ٠ وبمـا ان مكة المكرمة مبعث الدين ومناط اليقين وفيها موسم الحجيج العام في كل عام يجتمع اليه الشرقي والغربي ويتآخى في مواقفهـا الطاهرة الجليل والحقير والغني والفقير كانت افضل مدينة تتوارد اليهـا افكارهم ثم تنبث الى سائر الجهات والله يهدي من يشأ الى سواء السبيل ٠

واما كان نوال الغاية عَلَى وجه ابعد من الخطر واقرب الى الظفر يستدعي ان يكون للداعي في كل قلب سليم نفثة حق ودعوة صدق

طلبوا عدة طرق لنشر افكارهم بين من خفي عنه شأنهم من اخوانهم واختاروا ان يكون لهم في هذه الايام جريدة باشرف لسان عندهم وهو اللسان العربي وان تكون في مدينة حرة كمدينة باريس ليتمكنوا بواسطتها من بث آرائهم وتوصيل اصواتهم الى الاقطار القاصية تنبيهاً للغافل وتذكيراً للذاهل فرغبوا الى السيد جمال الدين الحسيني الافغاني ان ينشيء تلك الجريدة بحيث تتبع مشربهم وتذهب مذهبهم فلبى رغبتهم بل نادى حقاً واجباً عليه لدينه ووطنه وكلف الشيخ محمد عبده ان يكون رئيس تحريرها فكان ما حمل الاول على الاجابة حمل الثاني عَلَى الامتثال وعَلَى الله الاتكال في جميع الاحوال

الجريدة ومنهجها

ستأتي في خدمة الشرقيين عَلَى ما في الامكان من بيان الواجبات التي كان التفريط فيها موجباً للسقوط والضعف وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك ما فات والاحتراس من غوائل ماهو آت.

ويستتبع ذلك البحث في اصول الاسباب ومناشيء العلل التي قصرت بهم الى جانب التفريط والبواعث التي دفعت بهم الى مهامه حيرة عميت فيها السبل واشتبهت بها المضارب وتاه فيها الخريت وضل المرشد حتى لا يدري السالكون من اين تفجمهم الطوارق المفزعة والمزعجات المدهشة والمدهشات القاتلة

وتكشف الغطاء ما استطاعت عن الشبه التي شغلت اوهام المترفين ولبست عليهم مسالك الرشد وتزيح الوساوس التي اخذت بعقول المنعمين حتى اورثتهم الياس من مدواة علاتهم وشفاء ادوائهم وظنوا ان زمان التدارك قد فات وان العناية بلغت حدها

وتحاول اشراب الافهام ان لا حاجة في الوصول الى نقطة الخلاص المرغوبة الى قطع دائرة عظيمة تصورها يوجب فتور الهمم و نحطاط العزائم وان تخيل تلك الدائرة الواسعة انما عرض من الادبار عن المطلوب وهو تحت الجناح ويكفي في الوصول اليـــه عطفة نظر وقطع بعض خطوات قصيرة

وان الظهور في مظهر القوة لدفع الكوارث انما يلزم له التمسك ببعض الاصول التي كان عليها اباء الشرقيين واسلافهم وهي ما تمسكت به اعز دولة اوربية وامنعها ولا ضرورة في ايجـ د المنعة الى اجتماع الوسائط وسلوك المسالك التي جمعهـــا وسلكها بعض الدول الغربية الاخرى ولا ملجىء للشرقي في بدايته ان يقف موقف الاوربي في نهايته بل ليس له ان يطلب ذلك وفيما مضى اصدق شاهد على ان من طلبه فقد اوقر نفسه وامته وقرا اعجزها واعوزها

وتنبه على ان التكافو في القوى الذاتية والمكتسبة هو الحـافظ للعلاقات والروابط السياسية فان فقد التكافو لم تكن الرابطة الا وسيلة القوي لابتلاع الضعيف .وتجعل اهاب الوداد المرقش بالوان الملاطفة

المدبج باشكال المجاملة شفافاً ينم عما وراه وتنقب عن المسالك الدقيقة التي يسري بها الطامعون في دياجر الغفلات

وتهتم بدفع ما يرمى به الشرقيون عموماً والمسلمون خصوصاً من التهم الباطلة التي يوجهونها اليهم من لاخبرة له بحالهم ولا وقوف على حقائق امورهم وابطال زعم الزاعمين أن المسلمين لا يتقدمون الى المدنية ما داموا على اصولهم التي فاز بها اباهم الاولون . ولاتهن في تبليغ الشرقيين ما يسهم من حوادث السياسة العمومية وما يتداوله السياسيون في شئونهم مع اختيار الصادق والتقاء الثابت

وتراعي في جميع سيرها تقوية الصلات العمومية بين الامم وتمكين الالفة في افرادها وتأييد المنافع المشتركة بينها والسياسات القويمة التي لا تميل الى الحيف والاجحاف بحقوق الشرقيين

ومع كل هذا فهذه الجريدة تتبع سير الداعين اليها والحاملين عليها لا تظهر اذا ادلجوا ولا تجد اذا غوروا وتذهب مذاهب الرشد وتصيب بحول الله مواقعهُ عند من سبق في اذلي علم الله هدايته والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وترسل الى الذين نعرف اسماءهم مجانا بدون مقابل ليتداولها الامير والحقير والغني والفقير ومن لم يصل الينا اسمهُ فما عليه الا ان يكتب الى ادارة الجريدة بالأسم المعروف به ومحل اقامته على النهج الذي يريده والله الموفق

سياسة انكلترا في الشرق

هلع عَلَى ما في البيت فهلوع لاغلاق البـاب فانخلع المصراع وانقض الجدار من ورائه ·

هذا شأن دولة بريطانيا في الهند وقنال السويس · فصـارت بغيتها ان تكون في امن عَلَى هذا الباب وكان سهلا عليها ان تخلص النية في مسالمة ارباب الولاية عليه فيقونه بأرواحهم واموالهم ثم هي تفوز بفوائده الى الابد

الا ان جيشان الاوهام وموحشات الاحلام دفعتها لمباشرة حمايته بنفسها فاذا الامر اصعب من ان ينال واساس البيت اوهى من ان يدوم

ارادت دولة انكلترا بعد تبوئها ارض مصر ان تدخلها تحت حمايتها وان تبدل العساكر الوطنية بانكليزية وان تقيم في السودان سلطنة مستقلة وحاولت في ذلك ارضاء المصريين بانه من الضروريات لتنظيم احوالهم واقرار الراحة بينهم وتسكين روع العثمانيين بحفظ الحق وتخفيف الوزر · وكان لكل ان يستبشر بهذه الخدمة الجليلة ان تمت لولا ما لدولة انكلترا من تقسيم الممالك التيمورية في الهند واقامتها لكل قسم حامية من قبلها وكان هذا اكبر الاسباب واصغرها لاستيلائهـا عَلَى الاقطار الهندية وانا لنأسف عَلَى التفاوت بين الزمانين والتباين بين المكانين فلا الاحسان الانكليزي يسهل تشميمه ولا العثمانيون والمصريون يستبشرون بنواله وخطر الامرين غير يسير

ظهرت دعوى المهدوية في السودان واشتد ازر القائم بها بمسارعة الانكليز الى التداخل في مصر بحجة حفظ باب الهند وعظم خطب الداعي بعد ما اراق دما غزيرة ودبت روح دعوته الى سواحل البحر الاحمر وحدود مصر الطبيعية وامالت القلوب اليه نفرتها من السلطة الانكليزية

يقرب من الظن ان نفثاته مازجت افئدة العرب في فيافي طرابلس او قاربت وان هذه النيران التي يشعلها بالبكاء عَلَى الدين والنواح عَلَى امتهانه لا تلبث ان تنقض شرارة منها عَلَى جزيرة العرب وفيها يصعد عويل الدين ونحيبه الى عنان السماء وعند ذلك يمسي باب الهند بين السنة النيران من جهتين بل من ثلاث جهات . ابعد عند العقل وبريطانيا لاهية بانقاذ الباب ان تنقد النيران في البيت . ان الخطر اليوم اشد مما اهتمت بدفعه سابقاً ماذا اخذت من الوسائل لدفع هذه الغائلة .

ارسلت كوردون باشا الى السودان لتفريق كلمة المحاربين ورقية محمد احمد الحمداني . السودانيون لم ترقا دما جراحهم من ظلم كوردون ايام كان حاكما مستبدا عليهم وفي علمهم انه اعدى اعداء الديانة الاسلامية فقد ظلب وهو فيهم قسسا من السويس لنشر الدين البروتستنتي بين مسلميهم فهل تمكنه الفصاحة الانكليزية ان يمحص صدور العرب من الضغينة الدينية والدنيوية بعدما رسخت اعواما ويمحوها في بضعة ايام

وهل يسهل عليه ارضا محمد احمد بعد ماقام بدعوة عظيمة كهذه بمنحه لقب امير كوردفان اوهل يقنع صاحب هذه الدعوى بمثل هذا اللقب بعد مانسنى له من الفتوحات واستولى عَلَى تلك البلاد بدون اذن كوردون قد يظن هذه الظنون من لاوقوف له على حقيقة دعوى المهدوية وموقعها من قلوب المسلمين ويكفى لكشف بعض مافي الغيب ماا تفقت عليه الجرائد الانكليزية والفرنساوية واثبتته المخابرات الرسمية من اخفاق كوردون في سعيه كما تراه في غير هذا المحل ٠

ساقت خمسة الاف وعَلَى بعض الروايات اربعة الاف جندى تحت قيادة الجنرال كراهام الى سواحل البحر الاحمر لاسترجاع شرف بيكرباشا وثار ضباطه من الانكليز (اما هكس باشا وضباط جيشه فلبعدهم عن البحر لاشرف لهم ولا ثار) وغلب هذا الجيش المدرب الكامل العدة الشاكي السلاح من اجور طرز ثلاثة الاف من عراة العرب السودانيين (بمعنى انه قتل منهم ثمانماية بدوي) والقبائل عَلَى عصبيتها لم تجبن بعد ٠ هل بهذا تدفع القبائل ٠ ايظن ذو عقل ان فاتحافتك بعشرة الاف جندي مرة والفين وخمسماية مرة اخري جميعها تحت امرة مشاهير من قواد جيش انكلترا يخور عزمه لانهزام شرذمة من المنتسبين اليه وهل يؤثر هذا وهنا في اعتقاد المذعنين لدعوته ٠ سبحان الله ٠ كان لغلبة هذا الجيش رجة في انكلترا وخيل لحكومتها انها نجاح في العمل وربما نشأ هذا الخيال من التهنئات التي

وردت اليها من الدول وسفرائها مما لم ينله نابليون الاول وغليوم الالماني

اقول وحق ما اقول ان الضيرم شديد فان ترك امتد واخاف الدانية والقاصية وليس في مكنة كوردون ولا احذق سياسي في انكلترا ان يخمد لهبه والمناواشات البريطانية تحضره فتزيده اشتغالا وانما يتيسر اطفاؤه لاولى العزم من العثمانيين والمصريين لكونهم على شاكلة صاحب الدعوى وبيدهم عنانها.

كان من حذق الانكليز لو اكتفوا في حفظ باب الهند بعضد العثمانيين وخضوع المصريين مع القوة البريطانية والتفتوا الى ترميم سياج الهند من الجهة الشمالية. ماذا يفيدهم سد الباب اذا وهي الاساس فتداعت الجدران وخر السقف ان قبائل التركمان في مرو مع شوس طباعهم لحقوا بدولة الروسية اختيارا بعد ما كانوا مستقلين في امورهم لا يدينون لسلطة اجنبية عنهم فاي مانع يمنع تركمان سرخس وهم سنيون من الاقتداء بهم تخلصا من حكومة فارس المخالفة لهم في المذهب فان وقع هذا افتح للروسيا طريق فراه الى قاين الى سجستان واى قوة تصدها عن طمعها وان حلت في سجستان او فراه فاية عقبة بينها وبين الهند.

ان قبائل ازبك من سكان (ميمنة) و(اندخو) و(شيورغان) و(سربول) وسائر بلاد بلخ الى (وبلميان) في ضجر من الحكومة الافغانية افلا يتبع هؤلاء اثر ابناء اعمامهم التركمان فان غفلوا فتحت لهم الروسية باباً من الملاطفة وذهبت بهم في طرق من سياسة اللين

لتشويقهم الى الدخول في حمايتها والتملص من نير الافغانيين وليس في قوة حكومة الافغان كبحهم ان ارادوا لضعفها فيهم ٠

ان قبائل هزارة من الشيعة الساكنين في الجبال الممتدة من هراة الى كابول ينتحلون الاسباب للخروج عَلَى حكومة الافغان نفرة من سلطة السنيين وقد كانوا في الحرب الاخيرة بين الانكليز والافغان متفقين مع الانكليز فهو لا بعد مايرون جيرانهم انحازوا الى الروسية افلا ينزعون الى مجاراتهم خصوصاً اذا لمعت لهم بوارق الوعود الروسية ٠ هذا كله يكون فتشرف الروسية بعده عَلَى الميدان المتسع الممتد من هراة الى قندهار الى غزنة بل الى كابل من جهات كثيرة ٠ فهل بعد هذا يبقى للهند سياج وهل يمكن ان يقام في وجه الروسية مانع من المسير اليه وهل ينفع عند ذلك الوقوف عَلَى بابه (قنال السويس)

اليس يسهل عَلَى الروس عند اشرافهم عَلَى تلك المواقع الايقاع بين قبائل الافغان وبين المترشحين للامارة ويتخذون منهم احزابا كما فعلوا بخوانين القرم ٠

تقربت دولة الروسيا الى المانيا والنمسا في هذه الايام وانعقدت بينهم معاهدة عَلَى حفظ السلم في اوروبا الى زمن غير قصير ولم يكن هذا التقرب مبنياً على مايخيله السياسيون في كل دولة عَلَى حسب صوالحهم وانما رات الروسيا ان الوقت وقت العمل في آسيا فطلبت الراحة من جهة حدودها الاوربية لتتفرغ لاجراء مقاصدها في اطراف الهند

وان الفزع من هـذا الانتقال الفجائي قد ظهر اثره في جميع الجرائد الانكليزية ·

ليت الانكليز صرفوا قوتهم ووجهوا عزيمتهم لدفع ما يلم بهم من الخطر القريب ولم يقعوا في شرك المسئلة المصرية · فان ما كانوا يخافونه من مصر كان وهماً صرفاً فلما طرقوها اوقدوا فتنة ما كانت تخطر ببال احد ثم هم في عجز عن علاجها وانـا نظن كما يزعم الوزراء العثمانيون ان الانكليز ليس في امكانهم ان يكسروا سورتهـا بانفسهم ولا بد لهم من يوم يلجأون فيه الى ذوي العزيمة من العثمانيين والمصريين والى الله عاقبة الامور

مصر

كانت حكومة هذه البلاد في الربع الاول من القرن الماضي (الهجري) تعد من نوع حكومة الاشراف ويحسبها المؤرخون في تلك الاوقات بدرجة لا تعرف هيئتها ولا يصل بحث الباحث الى كنهها واذا عبروا عنهـا بالتقريب قالوا طرز قديم كان معروفاً في اغلب انحاء المسكونة ·

ثم اعجب الدهر فيها بغرائبه بعد ما فوضت امورها لمحمد علي باشا فلم يمض قليل من الزمن حتى دخلت في طور جديد من اطوار المدنية وظهر فيها شكل من الحكومة النظامية وتقدمت فيه على جميع

الممالك الشرقية بلا استثناء وعد هذا التقدم السريع من عجائب الامور

هل كان في حسبان احد ان يستلم زمام الحكومة في مصر رجل من بعض قرى الروملي لم يتربع في دروس العلم ولم يجبل في مصانع السياسة الا ان طبيعته الفطرية كانت فائضة بحب الحضارة وبث العلوم وتاسيس قواعد العمران مع تدفق همته لبلوغ الغاية مما يميل اليه

بلى كان هذا في الغيب وابرزه القدر الالهي ونالت مصر في عهد ذاك الرجل العظيم وعهد خلفائه من بعده ما كانت تقف دونه افكار الناظرين طرقت ابواب السعادة من كل وجه فتقدمت فيها الزراعة تقدماً غريباً واتسعت دائرة التجارة وعمرت معاهد العلم وانتشرت في ارجائها مبادي المعارف الصحيحة وتقاربت انحاؤها واتصلت اطرافها بما انشىء فيها من سلك الحديد وخطوط التلغراف وتعارفت اهاليها وائتلف الجنوبي بالشمالي والشرقي بالغربي وقوي فيهم معنى الاخوة الوطنية بعد ان كانوا لبعد الشقة بين بلدانهم كانهم ابناء اقطار مختلفه وتواصلوا في المعاملات وتشاركوا في المنافع واعتدلت المشارب المذهبية حتى كان لهم زمن احس فيه كل واحد بنسبته من الآخر وارتفعت بذلك اصواتهم بعد ما جالت فيه افكارهم .

تفجرت من ارض مصر ينابيع الثروة وعمت بقاعها وطفحت ففاض خيرها عَلَى ما يجاورها من الاقطار الشرقية بل وصل مد نيلها الى اراضي البلاد الغربية وتوارد اليها الغرباء وقصاد الكسب من كل

مكان وماخاب لها قاصد ولا اخفق فيها سعي ساع فاثرى في مغانيها الفقراء وعز بها الاذلاء وصارت قبلة لامال كثير من الغربيين ومحط رحال الراجين من الشرقيين وكل وافد اليها يجد اهلاً خيراً من اهله وسكناً خيراً من سكنه وتكاثرت فيها العناصر الغريبة حتى كان الداخل اليها يخيل له انه تحت برج بابل يوم تبلبلت الالسن ٠

وساد بها الامن وعمت الراحة وضارعت في كل احوالها نوع ما عليه الممالك الاوربية العظيمة وكان المتأمل في سيرها هذا يحكم حكماً ربما لم يكن بعيداً من الواقع ان عاصمتها لا بد ان تصير في وقت قريب او بعيد كرسي مدنية لاعظم الممالك المشرقية بل كان ذلك امراً مقرراً في انفس جيرانها من سكان البلدان المتاخمة لها وهو املهم الفرد كلما الم خطب او عرض خطر ٠ غير ان الايام كانها حسدتها عَلَى ما منحته فعثر العاقل وفرط المالك واعثر المجب وتهور الغبي وخار الامين فتقرب البعيد وبعد القريب ونزل بمصر ما لم يكن له اثر الا في حواشي طوامير الاوهام ولا حول ولا قوة الا بالله ٠

الحمت ادارة الحكومة بما ليس من نسيج سداها وانتقضت منها اصول عَلَى وجه غير مالوف ففتحت للدسائس ابواب وانساب بين طبقات الناس دهاة سياسة وطلاب غايات فتفرق اتصال وتقطعت اوصال فضعفت السلطة الوازعة ونبذت الطاعة والتهبت نيران الفتن قضا حل بتلك البلاد فاحتاجت في اعادة شأنها الاول الى راي

قويم وعزم ثابت ووازع قوي تدين لسطوته النفوس وان من ذوي الحقوق فيها من يجمع هذه الاوصاف وله من القلوب المكانة العليا وكان يسهل عليه القيام بما يعهد اليه لكن تحكم طمع واخطا ظن فتخلفت النتيجة واشتدت الحاجة

اشفقت دولة الانكليز عَلَى طريق الهند كما يقال او ظنت ان آن التقدم بعض خطوات قد آن فرات ان اعادة الامن واثبيت الراحه في مصر من فرائض ذمتها . فكان من التحريق والتدمير والقتل والشنق والحبس والابعاد والتغريم وما شاكل ذلك مما لا حاجة لبيانه وعم بعض انواع الهون حتى لم يبق ممن يعرف اسمه احد الا مسه ضرمه ما خلا اشخاصاً قلائل وهذه المرهبات عَلَى ما بها من القوة لم تبلغ الغرض من تامين طريق الهند لاشرافه عَلَى الخطر من وجه آخر ولم تات بما كان يؤمل منها لنظام البلاد .

اليست المالية هي مرمى انظار دول اوربا وما وضع نظام في البلاد ولا احدث تغيير بمشورتهم الا لوقاية الخزينة من العجز عن اداء ما يتعلق بها من الحقوق الاوربية اليوم رزئت بالنقص في الايراد وحملت من تعويضات متالف الحرب اربعة ملايين من الجنيهات ورميت بنفقات جيش الحلول وحرب السودان ومصاريف اخلائه وما يضاف الى كل هذا مما يظهره المستقبل فاختلت الموازين وبطل قانون الجبايات واي مصيبة عَلَى المالية اعظم من نوازلها الحاضرة

عقد العزم عَلَى الغأ الجيش الوطني وهو قوة البلاد وبه فخارها وكانه لم توجد وسيلة لتنظيم عسكر مصري وقصر الجهد عن مجاراة محمد علي باشا وابراهيم باشا اللذين دوخا كثيراً من الاقطار بجنود مصرية

ان كان كل ما تقدم من الشدائد والخطوب وزيادة النفقات والغأ العساكر الوطنية انما يتخذ سبيلاً لراحة الاهالي وتحسين احوالها فنعمت الوسائل اذا ادت الى غايتها لكن اين السبيل من المقصد واين هذه المعدات من تلك الغايات ·

واسفا عَلَى حالة الاهالي بعد هذا حكم من لا دافع لحكمه بطرد آلاف من الوطنيين الموظفين في دوائر الحكومة وما منهم احد الا ويتبعه عائلة واولاد ولا قوت لهم الا من مرتب عائلهم وما مرن عَلَى عمل للكسب سوى ما نشا فيه من خدمة الحكومة · الم يمس هولاء ضر الفقر الم يعضهم ناب الجوع الم يهتك مستورهم الم يضق ذرعهم الم يصبحوا كساة بسرابيل الكابة عراة من اكسية المسرة ان لم يكن كل هذا فقد كان جله وان صدى انينهم يتلى في صفحات الجرائد الوطنية العربية والافرنجية وسيتبع السابقين منهم اللاحقون حتى لا يجدوطني في البلاد من المهن الا ما لا يليق بالانكليزي تعاطيه من سفاسف الامور كما هو في البلاد الهندية

اضطرب ميزان السلطة العامة لتعاكس قواها المختلفة فاشتبه الامر عَلَى العمال وظنوا ان لا تبعة عليهم فيما يعملون فانطلق ما غل

من ايديهم وحكموا اهوائهم في اداء وظائفهم فخبطوا وخلطوا . افعمت السجون باعيان الرعية ورفعت اذناب الكرابيج لتشريح ابدانهم واستعملت آلات التعذيب وامتدت مخالب الجور لتجريدهم من بقايا اموالهم وثمرات كسبهم وحدث نوع من الحكم المطلق عزيز المثال بعث عليهم عذاب من فوقهم او من تحت ارجلهم ولبسوا شيعاً واذيق بعضهم باس بعض وما الله بغافل عما يعمل الظالمون .

غلقت ابواب العمل من وجوهه الرسمية في الادارات وتعطلت اشغال المحاكم وشخصت الابصار لعاقبة هذا التنازع بين القوى الحاكمة فاتسع نطاق الفوضى وارتفع حجاب المنعة فاذا الفلاح لا يبالي بعمدته والعمدة لا يبالي بمامور مركزه والمامور لا يحترم مديره وسرى التهاون الى الدوائر العليا وعاد الامر لقوة الساعد وكثرة الاعوان فعاثت اللصوص وكثر قطع الطرق في كل ناحية وارتفعت الاصوات بالشكوى منهم في عموم الجرائد الوطنية فوقفت حركة الاعمال العمومية وبدت للناس شؤن عدلت بهم عن ضرورات معاشهم وامتنع المدينون من اداء ما عليهم لدائنيهم من التجار والربويين فقبض المقرضون ايديهم واحتكروا نقودهم لفقد ثقتهم واشفاقهم من الضياع على روس اموالهم وان اصيبوا بالحرمان من الربح وابتلوا بالخسارة في راس المال من قبيل آخر واشتدت الحاجة بالفلاحين الى ما يعوض عليهم ماشية فالحراثة بعد ما اغتالها التيفوس وما يجددون او يصلحون به آلاتهم

الزراعية ويستعينون به عَلَى نجاحها حسب العادة التي الفوها فعميت عليهم السبل وضاقت بهم المسالك ولم يجدوا لسد حاجاتهم سبيلاً ففسدت الزراعة وانتقصت ثمراتها وانحطت اسعار الحاصلات لارتباك الاحوال الى حد ما كان يسمع الا في القصص وروايات القدماء قبل محمد علي باشا . ومطالب الحكومة في ضرائبهـا ورسومها عَلَى حالها الاول مع الاغذاذ في اقتضائها فعم العسر واحاط الضنك وتقوضت آلاف من البيوت التجارية واتربت ايدي ملايين من عمال الصناعة واعدم المزارعون قاطبة الانزر يسير من حفظة الكنوز او المستأثرين باموال الكافة نهبا وسلبا. باع الفلاح اثاث بيته بل وما ابقاه الفتيوس من عاملة ارضه بعد ما ذهبت الحاجة بحلى حرمه وبناته ليؤدي ما عليه لحكومته ولم ينل من غضاره ما يقوم بحفظ حياتـه وعاد الى الفطرة الاولى يقتات باقوات البهائم ويسرح مسارح الحيوانات الا قليلا منهم الله يعلمهم .

وزاد الويل بمحق الحرية الشخصية والاخذ بالشبه وان ضعفت واتباع بواطل التهم وان بعدت او استحالت حتى اخذ الفزع من القلوب مأخذه وبلغ منها مبلغهُ فلا ترى ماراً بطريق الا وهو يلتفت وراه لينظر هل تعلق باثوابه شرطي يقوده الى السجن او يقتضي منه فداً وكل معروف الاسم من المصريين ينتظر في كل خطوة عثره وفي كل نهضة سقطة وله من كل شاخص دهشة ومن كل طارق لبابه

غشية . اي شقا ينتظره الحي في حياته اشنع من هذا

هذا ما تنشق له المرائر من احوال سكان القطر المصري . هذا بعض ما يضيق به الصدر وتنقبض له الانفس مما رزئوا به بعد ما تكفل احباؤهم الاولون بالدفاع عنهم وتخليصهم من الفوضوية السابقة هذه طلائع الاصلاح المبشر به من زمان بعيد عَلَى السنة رسله . اصبح الاهالي حيارى في امورهم تائهين عن رشادهم لا يعلمون ماذا يحل بهم يذكرون من احوالهم السابقة ما كانت الدول الاوربية تسميه ضيقاً وعنا وتمنيهم بالانقاذ منه فيحنون اليه ويودون لو رجعوا اليه ويحسبونه غاية سعادتهم بعد هذه الحالة التي هم فيها .

ابعد هذا يصح لمصري ان يظن ان تلك الرزايا التي حلت ببلاده من نحو عشرين شهراً كانت مقدمة لاصلاحها وتنظيم شؤونهـا نعم يمكن ان يخطر بالبال انها تمهيد لعمل صناعي في الاراضي المصرية كتقويم طرقها واقامة جسورها وتكثير جداولها وتقوية موادالخصب فيها حتى تعود بعد مدة جنة من جنات الدنيا او روضة من رياض الآخرة اما الاهالي فليسوا بموضع النظر فانهم ان هلكوا أُورث الارض بعدهم قوم آخرون .

فان لم يكن هذا فليكن تمام الاصلاح الذي لا يمثله الخاطر في وقتنا الحاضر ولا يكفي للبداءة فيه سنون معدودة عَلَى قياس الاصلاح المنتظر في بلاد بنجاب (من الممالك الهندية) فان الدولة التي تولت

اصلاح الشؤون المصرية في هـذه الايام دخلت بلاد بنجاب بهذه الحجة واستولت عليها من مدة اربعين سنة ولم تزل الى الان حكومتها عسكرية ولم يشرع فيها بتنظيم مدني فلينتظر اخواننا المصريون فانا معهم من المنتظرين ·

اعجوبة

ظهر لمراسل التمس بسكندرية في هـذه الايام ما كان ظاهراً عند الكافة عامتهم وخاصتهم ولم يخف عَلَى غبي ولا ذكي ولا اعمى ولا بصير بل لم يحصل فيه ادنى شبهة في زمن من الازمان الماضية فكتب بالتلغراف الى جريدة التمس يثبت فيه ما ياتي : انه يوجد بين طبقات الاعالي جمهور كثير ينفر من سلطة الانكليز (وخجل ان يقول جميع الاهالي كذلك) وانهم لا يسرون بارسال العساكر الى توكار بل بلغ الاسف منهم غايتهُ عندما سمعوا بانتصار كراهام عَلَى العربان

ويقرب من هذه الاعجوبة ما اجاب به غرانفيل موزورس باشا عند مابين له لزوم التداخل العثماني في حوادث السودان حيث قال ان العساكر التركية تلاقي من معارضة المصريين مثل ما تلاقي العساكر الانكليزية فاعتبروا يا اولي الابصار ·

غريبة

روت جريدة التان من الجرائد الانكليزية ان الخديو الحـالي عقد عزمه عَلَى الاستعفاء من منصبه الا ان حرمه (زوجته) عارضته

فيما عزم عليه كل المعارضة وعندما اشار اليها بما في نيته تناولت مقراضاً وجزت شعرها علامة عَلَى الحداد واقسمت ان لا تلبس الجوارب والاحذية حتى توقن بعدوله عن مقصده هذا وهي من ذاك الوقت تمشي حافية وتنتظر آخر عزيمة من زوجها الخديو ·

ولعل هذا من مبالغات الجرائد الانكليزية او يكون منشأه الحاح السير بارين عليه بطلب حماية انكلترا كما رواه كثير من الجرائد او اجباره عَلَى التنازل كما روته جرائد اخرى ·

كوردون باشا

ان كوردون باشا بعد ما نصب نفسه للمدافعة عن حرية السودانيين زماناً طويلاً وكثر ما توسل بذلك لعودته حاكماً للسودان نال في هذه الحوادث بغيته وارسل من قبل دولته لعمل سوداني فوصل الى خرطوم وافتتح اعماله بمخالفة مشربه فاعان اباحة بيع الرقيق والغأ معاهدة سنتي ٧٧ و ٧٩ ثم تعدى عَلَى حقوق السلطان بدعاوي مختلفة منها انه جاء نائباً عنه وتضاربت اقواله في مأموريته فادعى انه حاكم عام عَلَى الاقطار السودانية بأمر دولتـــه والحكومة المصرية مع تصريحه بان الحكومة المصرية لادخل لها من الآن في ادارة السودان راساً واعترافه بامارة الشيخ محمد احمد عَلَى كوردفان هذه كل وسائله لامتلاك قلوب السودانيين · ولم يلبث ان ظهر ضعف سياسته عند جميعهم لمامهم السابق باطواره فكان ما اجمعت عليه الجرائد الانكليزية والفرنساوية

من عدم نجاحه في مأموريته فان الاخبار الخصوصية الواردة من خرطوم متفقة في ان ما اشيع من البهجة بقدوم كردون محي اثره وتحول الى اضطراب وقلق وتشويش في الافكار وان القبائل فيما ورأ خرطوم تسخر بمنشوره وتهزأ بوعده ووعيده وهذا الضرب من السياسة ربما يستغربه من لايعرف حال كوردون اما المصريون عموما والسودانيون خصوصا فلا يتعجبون منه لوقوفهم عَلَى احواله من قبل وانما العجب من كون الحكومة الانكليزية ذهلت عن ان ثورة دينية لايمكن اطفاؤها بيدمن يخالف الثائرين دينا وشكلا ولغة وان كان عاقلا سياسيا ٠

يثبت هذا الذي قلناه ماورد الى الدلي نيوز من ان الجنرال كوردون بعث تلغرافاً اثبت فيه انه عاجز عن مساعدة الحامية المصرية في السودان مالم يكن تحت امرته جيوش عَلَى النيل الابيض والنيل الازرق ٠ وما جاء من مكالمته لمراسل التمس حيث صرح له انه لم يعد في امكانه ان يفعل ازيد مما فعل (وما فعل شيئاً) لتقرير الراحة بين السكان وان العزم عَلَى اخلا السودان فتح للشيخ محمد احمد سبيلا لاثارة القبائل بين بربر وخرطوم وفي اثناء المحادثة اظهر احتياجه لفرقتين من العساكر ترسل اليه من جيش الجنرال كراهام ٠ ومما قاله انه من الضروري تعيين زبير باشا خلفا له في خرطوم و يفوض اليه اعادة الراحة ومقاومة الثائرين وهذا من عجيب تدبيره فان هذا الباشا ان لم يكن معتقدا بصاحب دعوي المهدوية فعنده اعظم باعث للا تفاق

معه فانه لم ينس ماحل باولاده واقاربه من القتل صبرا وما سلب من امواله نهبا وغصبا فكيف يميل لمساعدة الحكومة المصرية عَلَى اخضاع الثائرين عليها ·

كراهام وعثمان دجمه

بعث الجنرال كراهام قائد جيش الانكليز في جهة سواكن بمنشورات الى رؤساء القبائل يعددهم ويمنيهم ويهددهم ويتوعدهم لينفصلوا عن عثمان دجمه والى عثمان يرعد له ويبرق ويرغي ويزبد ويطلب منه التسليم فورد الجواب من عثمان برفض الطلب والاستعداد للحرب ووردت الرسائل من واحد وعشرين شيخا من مشايخ القبائل ناطقة بأنه لا واسطة بين الانكليز ومساعديهم وبين القبائل السودانية الاّ السيف ثم قالوا ان كل من لايصدق بدعوى المهدى فانه سيكون لامحالة فريسة للموت وطعمة للهلاك ·

فاضطر الجنرال كراهام لاعادة التهديد مرة اخرى عَلَى النحو الاول ويغلب عَلَى الظن ان الجواب · يكون الجواب

وجاء في جرائد الانكليز ان الشيخ المرغني « وهو شيخ طريقة من المسلمين بعث الى عثمان دجمه رقيماً يستدعيه للطاعه ويحذره من مقاومة العساكر الانكليزية فاجابه عثمان دجمة بان في عزمه شرب دما الانكليز وكل من يساعدهم فانه يحارب بسيف الاسلام · وفي ختام جوابه تصح المرغني وطلب منه ان يقوم بارشاد الانكليز الى ترك الحرب ووضع

السلاح وهو اولى له من نصح مشائخ القبائل العربيه الاسلامية

باريس في ٢٠ مارس

ان المسئلة المصرية صبغت في انكلترا عدة صبغات من يوم نشاتها وكلما عرضت على العقول في لون خيل لها انه اجود ما في الدن حتى اذا مضى عليه زمان خفي واعقبه لون جديد وهي في انتقالاتها هذه لا تزداد الا اشكالا ولا تزيد انكلترا في انهائها الا ارتباكا.

كان يود مستر غلاد ستون ان ينهج في سياسته منهج سلفائه من الانكليز يحبو الى مقصده بالاناة والتودة ويلتوي في مسيره الى معاطف متخالفة ويري ان سلوك الجادة مما لا تقتضيه الحكمة ولا يسوغه الحذق حتى يبلغ الغاية ويقطع الخلال (الطريق بين الرمال) ولا يظهر له اثر يقتفى او كان كما يزعمون او كما يدعي ونادى به على عهد بيكونسفيلد من انه لا يميل الى الفتوحات وهمه البعد بانكلترا عن المداخلات في الامور الاجنبية بالقوة الحربية الا ان الحوادث المصرية الجأته الى العدول عن مشربه والتطور بغير طوره فتضاربت اراوه وتردد في اعماله وسار سيرة المتخبط ونشا من طلعه في السياسة توعر السبل على حكومته في بلوغ ماتريد وحدث عنه النزاع بينه وبين بقية الوزراء فيما يجب اتباعه من بعد وهو الان في حيرة بين التمسك بمذهبه السياسي والاستقالة من المنصب وبين الانزلات منه والتعرض للوم

انقلا والسقوط من منزلته في قلوب احزابه وهذه الحيرة مهدت لمعارضيه من الحزب المحافظ طريقا للسعي في اسقاطه من مكانته السياسية واهباطه من كرسي الوزارة ٠

الذي اباح لمسترغلادستون ان يركب غير طريقه ويتداخل في مصر بقوة السلاح مازعمه من احتياج تلك البلاد الى اقرار الراحة وتخليصها من خلل الفوضى ومن مصلحة انكلترا ان تتولى اغاثتها مما وقعت فيه فمد يده لوضع قواعد العدالة وتخليص الحكومة من الضعف واعادة الامن الى البلاد وكان يظن ان هذا المطلوب يتم بهدم طوابي اسكندرية والحلول في ثكن القاهرة فيكون قد كسب اجرا او نال ملكا جديدا او حفظ مصلحة مهمة باعمال خفيفة ونفقات قليلة وكلمات غير طويلة ولكن من الاسف لم يساعده التوفيق عَلَى نوال البغية ٠

تتابعت الفتن وعلا لياقها حتى لذعه فنبهه لما لم يخطر له عَلَى بال فاضطر لسوق العساكر وادامة الحروب ومع هذا لم تويد الحكومة التي انتصرلها ولم يكف محمد احمد عن دعوته ولم يهن عزم عثمان دجمه بهذه الصدمات المتتالية واجمعت الجرائد عَلَى انه نادى بالحرب الدينية وهو يجمع متفرقة العرب ليزيدها الى قبيله ويهاجم الانكليز مرة ثالثة واكدرواة الاخبار ان محمد احمد انبا من قبل انه سيهزم مرتين قبل تمام ظفره بالانكليز فكانت هذه الهزمات مما يقوي الاعتقاد به ويجمع الكلمة عليه ولا حول ولا قوة الا بالله ٠

فهذه المصاعب شوشت افكار البرلمان وحركت الخوط على الوزارة الغلادستونية وتخوف رئيس الوزارة من عواقب المداولات في المسائل المصرية فتاخر عن حضور الجلسات من مدة ايام وقام ناظر الجهاديه مقامه في التعبير عن افكار الوزارة وفهم من بعض خطاباته ان من نية الحكومة ان تحفظ الثغور المصرية بعساكرها وان تحل في شرقي السودان وان تتولى ادارة الحكومة المصرية كما تراه غير في هذا المحل . فقامت الحجة بكلامه هذا الحزب المحافظين ووبخوا الحكومة على ضعفها السابق والتجائها للعدول عن سياستها في هذه الاوقات ولم يكن من رأى غلادستون ان تصرح الحكومة بمقاصدها وتظهر مشرعها بوجه جلي ووقع الخلاف بينه وبين ناظر الجهادية وكثير من اعضاء الوزارة على جملة مواضيع في المسئلة المصرية وزاد الخلاف شدة ميل غلادستون لمراضاة الايرلنديين وتجافي بقية الوزراء عن رغبته وثبت الرئيس في ارائه وهو يفضل الاستعفاء على التساهل في شيء منها . ومن هذا غلب على الظن انه سيحصل انقلاب في الوزارة او فض البرلمان واكدت قرب ذلك جريدة التمس وجريدة الدلي نيوز وهي نصف رسمية وجات الاخبار الاخيرة متفقة على ان وزارة غلادستون في خطر .

فاذا انقلبت الوزارة الانكليزية وخلفها اخرى من اي حزب كان فما عساها تفعل لحل المسئلة المصرية والتخلص من الورطة . اقبل الصيف وصعب على عساكر الانكليز ان تاتي بحركات عسكريه في

اطراف السودان الشرقية مدة اشهر ويتعذر حفظ المواصلة بين سواكن وبربر وخرطوم فان طلبوا عساكر هندية كما انبأ به التلغراف انكشف للهنديين بتكرر طلب العساكر من الهند ضعف القوة البريطانية واجتراوا عَلَى حامية الهند وهناك الهول الاكبر . في هذه المدة وهي غير قصيره يتيسر لمحمد احمد ودعاته ان يجمعوا قواهم وينالوا من المنعة مايتعسر عَلَى عساكر الهند مقاواته بل هم الان عَلَى القرب مما نقول . ففي الاخبار الصحيحة ان حالة النيل الاعلَى لاترضي الحكومة الانكليزية والبلاد المجاورة لخرطوم في ثوران شديد وقد انقطع الامل من فتح الطريق بين بربر وعاصمة نوبيا ومحمد احمد مهتم من نحو شهر بجمع قوة عظيمة يساعده عَلَى تنظيمها ضباط من اركان الحرب فيهم اثنا عشر اوربياً وستون ضابطاً مصرياً نجوا من عساكر هكس ذكرت جميع ذلك جريدة الدلي نيوز واعترف مستشار خارجية انكلترا ان المواصلة بين شندي وخرطوم منقطعة ولم يصله خبر عن كوردون من حادي عشر هذا الشهر فاذا ترك هذا الخطب الجلل للقوة الانكليزية فلا نظنه الا يصدع جدار الهند كما بينا في العدد الماضي ويذهب بكل مايعبر عنه بالمصالح الاوربية في مصر (وليكن كذلك)

ولا نظن ان دول اوربا تسمح بضياع مصالحها في الاقطار المصرية خصوصاً بعض الدول التي كانت تسابق انكلترا في وادي النيل وانحط مقامها فيه بالتداخل الانكليزي الذي ليست له حدود

معروفة ولا غايات معلومة والى هذا تشير جريدة التان الفرنساوية الوزارية حيث تقول ان انكلترا لايمكنها ان تضع مصر تحت حمايتها حتى تناقش الحساب بين يدي اوربا وتنوه به جريدة سن بطرسبورج حيث تقول ان روسيا ليس في عزمها ان تفتتح بعمل في مصر فان انكلترا اعترفت في جميع الاوقات بان المسائل المصرية لها هيئة دولية وبنا عَلَى هذا لا يمكن القطع في شي منها الا باتفاق اوربا . هذا اذا تمكنت انكلترا ان تاخذ عَلَى نفسها اطفا الفتن واجهاد الثورات واستطاعت القيام بما تكتب عَلَى ذاتها ففي نهايته تطالب عند اوربا بما تقتضيه مصلحة كل دولة منها فان عجزت كما هو الغالب عَلَى الظن او طال عليها الزمان وهي بين ظفر وانهزام ولا تتجاوز في حركاتها العسكرية شواطي البحر فلا ريب ان القلق يستفز الدول لطلب وسائل اخرى سوى ما تهيئه دوله انكلترا . وانا نرى وسيحكم الزمان لنا ان شا الله ان حفظ حقوق الاوربيين وضبط البلاد المصرية واخماد نيران الفتنة فيها لا يتم الا عَلَى ايدي اهلها ويفعل الله ما يشاء.

الجنسية والديانة الاسلامية

ان استقراء حال الافراد من كل امة واستطلاع اهوائها يثبت لجلي النظر ودقيقة وجود تعصب للجنس ونعرة عليه عند الاغلب منهم وان المتعصب لجنسه ليتيه بمفاخر بنيه ويغضب لما يمسهم حتى يقتل دون دفعه بدون تنبه منه لطلب السبب ولا بحث في علة هذا

الوجدان حتى ظن كثيرون من طلاب الحقيقة أن التعصب للجنس من الوجدانيات الطبيعية الا انه يبعد ظنهم مانراه في حال طفل ولد في امة من الامم ثم نقل قبل التمييز الى ارض امة اخرى وربي فيها الي ان عقل ولم يذكر له مولده فانا لا نري في طبعه ميلا اليه بل يكون خالي الذهن من قبله ويكون مع سائر الاقطار سواء بل ربما كان آنف لمرباه واميل اليه والطبيعي لا يتغير.

ولهذا لا نذهب الى انه طبيعي ولكن قد يكون من الملكات العارضة عَلَى الانفس ترسمها عَلَى الواحها الضرورات فان الانسان في اي ارض له حاجات جمة وفي افراده ميل الى الاختصاص والاستئثار بالمنفعة اذا لم يصبغوا بتربية زكية . وسعة المطمع اذا صحبها اقتدار تدعو بطبعها الى العدوان فلهذا صار بعض الناس عرضة لاعتداء بعض آخر فاضطروا بعض منازلة الشرور احقابا طوالا الى الاعتصاب بلحمة النسب عَلَى درجات متفاوتة حتى وصلوا الى الاجناس فتوزعوا امما كالهندي والانكليزي والروسي والتركماني ونحو ذلك ليكون كل قبيل منهم بقوة افراده المتلاحمة قادرا عَلَى صيانة منافعه وحفظ حقوقه من تعدي القبيل الاخر ثم تجاوزوا في ذلك حد الضرورة كما هي عادة الانسان في اطواره فذهبوا الى حد ان يأنف كل قبيل من سلطة الاخر عليه علماً بانه لا بد ان يكون جائرا اذا حكم ولئن عدل فان في قبول حكمه ذلا تحس به النفس وينفل له القلب .

فلو زالت الضرورة لهذا النوع من العصبية تبع هو الضرورة في الزوال كما تبعها في الحدوث بلا ريب وتبطل الضرورة بالاعتماد عَلَى حاكم تتصاغر لديه القوى وتتضائل لعظمته القدر وتخضع لسلطته النفوس بالطبع وتكون بالنسبة اليه متساوية الاقدام وهو مبدا الكل وقهار السموات والارض ثم يكون القائم من قبله بتنفيذ احكامه مساهما للكافة في الاستكانة والرضوخ لاحكام احكم الحاكمين فاذا اذعنت الانفس بوجود الحاكم الاعَلَى وايقنت بمشاركة القيم عَلَى احكامه العامتهم في التطامن لما امر به اطمانت في حفظ الحق ودفع الشر الى صاحب هذه السلطة المقدسة واستغنت عن عصبية الجنس لعدم الحاجة اليها فيمحى اثرها من النفوس والحكم لله العلي الكبير ·

هذا هو السر في اعراض المسلمين عَلَى اختلاف اقطارهم عن اعتبار الجنسيات ورفضهم اي نوع من انواع العصبات ماعدا عصبتهم الاسلامية فان المتدين بالدين الاسلامي متى رسخ فيه اعتقاده يلهو عن جنسه وشعبه ويلتفت عن الرابطة الخاصة الى العلاقة العامة وهي علاقة المعتقد ·

لان الدين الاسلامي لم تكن اصوله قاصرة عَلَى دعوة الخلق الى الحق وملاحظة احوال النفوس من جهة كونها روحانية مطلوبة من هذا العالم الادنى الى عالم اعلَى بل كما كانت كافلة لهذا جآت وافية بوضع حدود المعاملات بين العباد وبيان الحقوق كليها وجزئيها

وتحديد السلطة الوازعة التي تقوم بتنفيذ المشروعات واقامة الحدود وتعيين شروطها حتى لا يكون القابض على زمامها الا من اشد الناس خضوعاً لها ولن ينالها بوراثة ولا امتياز في جنس او قبيلة او قوة بدنيه او ثروة مالية وانها ينالها بالوقوف عند احكام الشريعة والقدرة على تنفيذها ورضاء الامة . فيكون وازع المسلمين في الحقيقة شريعتهم المقدسة الالهية التي لا تميز بين جنس وجنس واجتماع ارآء الامة وليس للوازع ادني امتياز عنهم الا بكونه احرصهم على حفظ الشريعة والدفع عنها .

وكل فخار تكسبه الانساب وكل امتياز تفيده الاحساب لم يجعل له الشارع اثراً في وقاية الحقوق وحماية الارواح والاموال والاعراض بل كل رابطة سوى رابطة الشريعة الحقة فهي ممقوتة على لسان الشارع والمعتمد عليها مذموم والمعتصب لها ملوم فقد قال صلى الله عليه وسلم ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية . والاحاديث النبوية والايات المنزلة متضافرة على هذا ولكن يمتاز بالكرامة والاحترام من يفوق الكافة في التقوى (اتباع الشريعة) ان اكرمكم عند الله اتقاكم . ومن ثم قام بامر المسلمين في كثير من الازمان على اختلاف الاجيال من لا شرف له في جنسه ولا امتياز له في قبيله ولا ورث الملك عن اباآئه ولا طلبه بشي من حسبه ونسبه وما رفعه الى منصة الحكم الا خضوعه للشرع وعنايته

بالمحافظة عليه ·

وان بسطة ملك الوازعين في المسلمين كان الله يسديها اليهم على حسب امتثالهم للاحكام الالهيه واهتدائهم بهديها وتجردهم عن الاعتلاء الشخصي وكلما اراد الوازع ان يختص نفسه بما يفوق به غيره في ابهته ورفاهة معيشته وان يستأثر على المحكومين بحظ زائد رجعت الاجناس الى تعصبها ووقع الاختلاف وانقبضت سلطة ذاك الوازع ·

هذا ما ارشدنا اليه سير المسلمين من يوم نشاة دينهم الى الان لا يعتدون برابطة الشعوب وعصبات الاجناس وانما ينظرون الى جامعة الدين لهذا ترى العربي لا ينفر من سلطة التركي والفارسي يقبل سيادة العربي والهندي يذعن لرئاسة الافغاني ولا اشمئزاز عند احد منهم ولا انقباض · وان المسلم في تبدل حكوماته لا يانف ولا يستنكر ما يعرض عليه من اشكالها وانتقالها من قبيل الى قبيل مادام صاحب الحكم حافظا لشان الشريعة ذاهبا مذاهبها · نعم اذا نبا في سيره عنها وجار في حكمه عما نصت عليه وطلب الاثرة بما ليس من حقه انصدعت منه القلوب وانحرفت عن محبته الانفس واصبح وان كان وطنيا فيهم اشنع حالا من الاجنبي عنهم ·

ان المسلمين اختصوا من بين ارباب الاديان بالتاثر والاسف عندما يسمعون بانفصال بقعة اسلامية عن حكم اسلامي بدون التفات الى جنسها وقبيلها ·

ولو ان حاكما صغيرا بين قوم مسلمين من اي جنس كان تبع الاوامر الالهية وثابر على رعايتها واخذ الدهماء بحدودها وضرب بسهمه مع المحكومين في الخضوع لها وتجافي عن الاختصاص بمزايا الفخفخة الباطلة لامكنه ان يحوز بسطة في الملك وعظمة في السلطان وان ينال الغاية من رفعة الشان في الاقطار المعمورة بارباب هذا الدين ولا يتجشم في ذلك اتعابا ولا يحتاج الى بذل النفقات ولا تكثير الجيوش ولا مظاهرة الدول العظيمة ولا مداخلة اعوان التمدن وانصار الحرية ... ويستغني عن كل هذا بالسير على نهج الخلفاء الراشدين والرجوع الى الاصول الاولى من الديانة الاسلامية القويمة ومن سيره هذا تنبعث القوة وتتجدد لوازم المنعة ١٠ اكرر عليك القول بان السبب هو ان الدين الاسلامي لم تكن وجهته كوجهة سائر الاديان الى الاخرة فقط ولكن مع ذلك اتى بما فيه مصلحة العباد في دنياهم وما يكسبهم السعادة في الدنيا والنعيم في الاخرة وهو المعبر عنه في الاصطلاح الشرعي بسعادة الدارين وجاء بالمساواة في احكامه بين الاجناس المتباينة والامم المختلفة ٠

ابيضت عين الدهر وامتقع لون الزمان حتى اصاب ان بعضا من المسلمين على حكم الندرة يعز عليهم الصبر ويضيق منهم الصدر لجور حكامهم وخروجهم في معاملتهم عن اصول العدالة الشرعية فيلجاون للدخول تحت سلطة اجنبية على ان الندم ياخذ بارواحهم عند اول

خطوة يخطونها في هذا الطريق فمثلهم كمثل من يريد الفتك بنفسه حتى اذا احس بالالم رجع واسترجع . وان ما يعرض على الممالك الاسلامية من الانقسام والتفريق انما يكون منشاوه قصور الوازعين وحيد انهم عن الاصول القويمة التي بنيت عليها الديانة الاسلامية وانحرافهم عن مناهج اسلافهم الاقدمين فان منابذة الاصول الثابتة والكوب عن المناهج المالوفة اشد ما يكون ضررهما بالسلطة العليا فاذا رجع الوازعون في الاسلام الى قواعد شرعهم وساروا سيرة الاولين السابقين لم يمض قليل من الزمان الاوقد اتاهم الله بسطة في الملك والحقهم في العزة بالراشدين ائمة الدين وفقنا الله للسداد وهدانا طريق الرشاد

الانكليز في السودان

ان التلغرافات التي وردت من سواكن جميعها متفقة على ان العساكر الانكليزية هاجمت معسكر عثمان دجمة في تمانيه منقسمة الى مربعين وبعدان فارقت زفر باغارت عليها العرب بعدد وافرمع بسالة الايس ودخلت في المربع الاول وهو المقدمة وكانت فيه مذبحة هائله وتقهقرت العساكر الانكليزية وتركت مدافعها بعد ما قتل منهاجم غفير باسنة العرب وحرابهم الا ان فرقة من مشاة البحرية جات من القلب وسدت الخلل الذي وقع في صفوف العساكر من هجمات العرب ودفعت قوة المهاجم ولم تكد المربعات الانكليزية تلتئم وتعود الى

لانتظام حتى هاجمتها جيوش عثمان مرة اخرى بباس شديد وانقضت عليها من الجناحين والتحمت مقتلة عنيفة وترامى العرب عَلَى الموت واستهانوا بالحياة مفضلين الشهادة عَلَى التقهقر والتسليم ٠

وتضافرت الاخبار عَلَى ان العرب اظهروا من البسالة والشجاعة مالا يوصف حتى قال الرواة ان ماشاهدوه منهم يعد من غرائب الاعمال البشرية الا ان الروايات اختلفت في عدد من قتل منهم ومن عساكر الانكليز فبعضها اوصل قتلى العرب الى ثلاثة الاف وبعضها الى اقل ثم جات الاخبار الرسمية ﴿ وما ادارك ما الاخبار الرسمية وما تبالغ في قتل اعدائها مصرحة بانها الفان اما قتلى الانكليز فقد بالغوا في قلتها حتى اوصلوها الى مائتين او ثلاثماية بعدما اعترفوا بان العرب فتكوا فيهم فتكا زريعا ٠

وعَلَى اي حال قد انتهت الواقعة بانسحاب العرب الى جبالهم ورجعت العساكر الانكليزية بغاية السرعة الى سواكن وتركت المواقع التي استولت عليها وتوافد اليها العرب مع قائدهم عثمان واجتمعت له في الموقع الذي هوجم فيه قوة حملته على الشموخ بانفه والنداء باستعداده لمهاجمة العساكر الانكليزية وانه لايقبل التسليم ٠ وانا لنعجب كما يعجب سائر الجرائد الاوربية من هذه الرجعة الغريبة بعد الطنطنة بالنصر والظفر والاعلان بان العساكر الانكليزيه نالت من الشرف اعلَى ما يناله جيش في قتال فان سرعة الرجوع شاهد بين عَلَى ان هذا الجيش

المنظم لم يقتدر عَلَى حفظ مركزه في ساحة الحرب وانه خشي التلف لو بقي فيه فعاد راجعا الى شواطى البحر فكان المقتلة لم تكن الا كرة اعقبتها فرة حتى عدها بعض الجرائد هزيمة وحسبتها من الخطاء العظيم لانها تجري العرب عَلَى البقاء في الطريق الذي يصل سواكن ببربر وقطع الطريق عَلَى سالكية وانا لانوافقهم عَلَى ذلك لكنا نعدها عجزا ظاهرا عن مقاومة العربان في جبالهم ·

وما اشبه فعلة الانكليز هذه بفعلته من نحو عشرين سنة عندما كان يحارب في حدود الهند سرايا الامير عبد الله الوهابي واخوند سوات فانه بعد ما انهزم في جبال سوات وبنير شر هزيمة وترك مدافعه وذخائره رجع ثانية وختل قرية صغيرة من قرى تلك الجبال وفاجاها ليلا عَلَى غفلة واحرقها وقتل اهلها جميعا وانقلب راجعا الى بلاده في الهند من ليلته واعلن بانه قتل وسلب ونهب وظفر وانتصر فليعتبر المعتبرون

وكان الجنرال كراهام بعمله هذا لم يرد اطفاء الفتنة في الاراضي المصرية وانما قصد رد شرف العساكر الانكليزية والاخذ بثار بعض من قتل منها سابقا واقامة البرهان لاوربا عَلَى ان عساكر الانكليز يقدرون عَلَى محاربة العربان ويستطيعون الهجوم عليهم · نعم انه لم يغفل التدبير بالكلية فان الجرائد اخبرت انه وضع راس عثمان دجمة في المساومة وجعل لمن ياتي به الف ليرا انكليزية ونعم مادبر ولكنا

نخاف ان عثمان عندما يبلغه الخبر يضع راس الجنرال في المزائدة ويجعل لمن ياتي به مائة قنطار من سن الفيل ويكون الخطر عَلَى الجنرال اعظم

ثم ان الجرائد الانكليزية عَلَى عادتها من ترويج سياسة حكومتها في الحروب اشاعت ان الجنرال كراهام بعد رجوعه الى سواكن دعا بعض روساء القبائل وذكرهم في اقرار الراحة بين سكان البلاد السودانية ورغب اليهم ان يتعهدوا به فاجابه بانه غير ممكن لهم الا بمساعدة العساكر الانكليزية. وانهم استصوبوا مانشره الجنرال من تعيين الجعالة عَلَى جزراس عثمان بمبلغ الف ليرا انكليزية . وهذا مما لانظنه بالعرب لمخالفته طباعهم ونبو اخلاقهم عن الخضوع للاجنبي عنهم وما عهد ذلك فيهم من يوم نشاتهم العربية الى اليوم وبعد انهاء الكلام معهم اخذ في ذم عثمان عَلَى ما رمته تلك الجرائد حيث لم يظفر بـه بانه كذاب وخائن لبلاده وابناء جلدته فانه الذي عرضهم لسفك الدم واتلاف الارواح .

وهذا منه ذكرنا بقصة احد القواد الافغانيين حيث عرض نفسه لخدمة الانكليز في الحرب الافغانية الاخيرة فامدوه بمبالغ وافرة لاعانته عَلَى العمل فاخذ ما اخذ ونثره في قومه وهياهم به للكر عَلَى الانكليز والنكاية بهم ونال منهم ما نال . وبعدما ذاقوا منه الوبال اخذوا في نشر المنشورات وتحرير الاعلانات بان هذا الرجل قليل الوفاء خائن العهود لايثبت عَلَى قوله ولا يفي بوعده مع ان الوفاء هو اداء حق الوطن

والمدافعة عنه والقيام بذمامه وكل عهد يخالفه فالذمة تنكره والصدق يأباه كائناً ما كان ·

هذه اسطورة امر الجنرال كراهام واما الجنرال كردون فقد اخبرت بعض الجرائد الانكليزية انه في خطرو انه يوجد قلق عظيم في مصر من جهته ويثبت هذا الخبر امتناع ناظر الجهادية في انكلترا من عرض المخابرات التي جرت بينه و بين الجنرال خوفا من تأثيرها في الاذهان ·

وروت جريدة الدلي نيوز بناء على تلغراف ورد اليها ان زبير باشا صرح باستعداده لان يخلف كردون باشا في السودان وهو يظن انه لايمكن اعادة الامن الى تلك البلاد الا بطرق سلمية ولا يستطيع ان يبدي فكره في شان المهدي قبل ان يخابره وهو في ريب من اعتقاد السودانيين بنبوته ﴿ كذا ﴾ ومما قال ان تجارة الرقيق يمكن الغاؤها بالتدريج عندما يشرع سكان السودان في معرفة فوائد التمدن ومنافعه ثم كذب ما اشيع عنه من بعضه للجنرال كردون

نعم ان زبير باشا لايبغض الجنرال في هذه الاوقات ما دام في القاهرة اما اذا وصل الى السودان فيمكن ان تعود اليه الضغينة التي ما زجت قلبه سنين عديدة ·

صدى دعوة السودان

ورد تلغراف من تاشكند الى جريدة الستاندر الانكليزيه مفاده

انه حصل اضطراب عظيم في افكار المسلمين سكنة بخارى عند ماسمعوا بانتصار اعراب السودان وظفرهم الاول وظهر فيهم داع جديد يحث عَلَى الحرب ومقاتلة الذين ينتهبون الاراضي الاسلامية لتوسيع ممالكهم ويهدد صاحب السلطة العامة بين المسلمين بخلعه من مغرسه اذا لم ينشر اللوآء الاخضر (لوآء المغالبة ومصادمة المعتدي عليهم) . هذا برهان عملي عَلَى ماانذرنا به سابقاً من ان دعوى المهدوية في السودان لهـذه الاوقات التي صدم المسلمين فيها اشباه الحوادث الماضية في القرن الخامس والسادس من الهجرة ستدعو الى حركة عامة يصيح فيهـا الشرقي بالغربي ويصعب عَلَى الانكليز وهو في مجراها ان يتنكب عنها بدون ان تعروه هزة من مفزعاتها خصوصاً والمظاهرة الدينية في البلاد المحكومة بسلطتة اقوى واظهر .

ان بلاد بخارى بينها وبين السودان مسافات متطاولة وابعاد متنائية ويظن الناظر في الواح الجغرافيا ان المواصلات بينها منقطعة ومع ذلك سرى التنافس بين القطرين في الغيرة بغاية السرعة فما ظنك ببلاد هي اقرب الى مبعث الدعوى وادني منها منالا . يغلب عَلَى الظن ان الروح هبطت اليها ولكن تتحرك بحركة العقل وتنموا عَلَى القوانين الطبيعية والشرائع السياسية والاعتقادية فلا يشعر الاقوياء الا وقد اخذ بحلاقيمهم المستضعفون والارض ارض الله يورثها من يشاء من عباده الصالحين .

اذا سهلت الحوادث ظهور الكوامن ومهدت بروز المغيبات ماذا يمكن ان يؤخذ به من الوسائل لوقاية العدد القليل من غيلة الجمهور الاغلب الذي لايقاوم وما امكنت مقاومته في الازمان الخالية .

نظن ان لاوسيلة لهذا الا بتسليم الامر لاربابه والدخول اليه من بابه وتركه للمسلمين يرضي بعضهم بعضاً ويدافع باسهم باس بعض . فان كان هذا هو نهاية السير فمن الخطاء السياسي ان لايبدا به قبل اشتداد الكرب وعظم الخطب والله الهادي الي طريق الرشاد .

اضطراب سياسية الانكليز في مصر

تشاكلت افكار السياسيين من الانكليز في لوم الحكومة عَلَى سياستها المصرية : قال اللورد سالسبري في بعض الاجتماعات العظيمة ان الحكومة الانكليزية بالتواء سياستها وتذبذبها وضعت من شرف انكلترا وخفضت اسمها وعرضت اجل مصالح الامبراطورية (الهند) للخطر ثم تكلم في منشور كردون باشا المبيح لبيع الرقيق فقال ليس من الممكن لموسيو غلادستون ان يبيح تجارة الرقيق عَلَى حفافي النيل وهو يحظرها عَلَى سواحل البحر الاحمر (والاولى ان يبيحها في جميع البقاع لاستحالة منعها مطلقا) . وذكرت جريدة البال مال غازت ان مستشار جمعية منع الرق في لوندرا ارسل الى اللورد غرانفيل خطاباً بالنيابة عن اعضاء الجمعية يلقي عليه التبعة في تسمية زبير باشا والياً عَلَى السودان الشرقية وان الجمعية انفقت اراوها عَلَى ان مساعدة الحكومة الانكليزية

لرجل كزبير باشا تسكبها عارا وحطة في نظر اوربا ·

وقالت جريدة الدلي نيوز : الصحيح ان الارتباك الواقع في مالية مصر اقلق وزارة انكلترا وبعثها عَلَى البحث في ايجاد وسيلة لادخال النقود الى مصر فانها في غاية الحاجة اليها ويؤكد ان الحكومة الانكليزية ستعرض افكارها عَلَى البرلمان في هذا الشان وفي الظن ان ماتعرضه عليه يكون مشملقاً بضمانة القرض المصري (دخول مصر في حماية انكلترا رسما) الا ان عددا عديدا من حزب الليبرال في البرلمان صرحوا بعدم قبولهم اى فكر يعرض عليهم في هذه المسئلة · ومع هذا فقد كذبت هذه الجريدة ماشاع في الدوائر المالية من ان في عزم الحكومة الانكليزية ان تعد قرضاً للبلاد المصرية مبلغه ثمانية ملايين بفائدة ثلاثة ونصف في المائة ·

برلمان انكلترا

انعقدت له جلسة من ايام لم يحضرها المستر غلاد ستون لانه كان مريضا ﴿ اومتما رضا لخوفه من عاقبة المداولة فيها ﴾ فناب عنه في الكلام هر تنكتون ناظر الجهادية وابتدا بطلب نقود لنفقات حلول الجيش الانكليزي في الاقطار المصرية وبين الدواعي الى ماطلب فعارضه الموسيو لابوشير ﴿ وهو من الحزب الحر الذي يابى ان تدخل انكلترا في اى حرب كان ﴾ وطلب تنقيص المبلغ الذى سأله ناظر الجهادية ثم دارت المباحثه في المسئلة المصرية وحمى وطيس الجدال فيها وتكلم

الخطباء عن ماضيها وحاضرها ومستقبلها وبينوا الاغلاط التي ارتكبتها الحكومة في سياستها وماذا يجب الان اعداده من وسائل الخلاص وقال اللورد نورثكوث « وهو رئيس حزب المعارضين لسياسة الحكومة » ان خطاب ناظر الجهادية دل على تغيير عظيم في افكار الوزارة فقد علمنا من كلامه انها جارت الراى العمومي في البلاد واذعنت لمقتضيات الحوادث وعدلت عن السياسة المرتجة المتزعزعة واعترفت بما تعهدت به وقبلت ان تقوم بوفائه بعد ان كانت تحاول التملص منه وفهم منه ايضاً ان بلاد السودان اذا تركت لصغار السلاطين القدماء الذين يحاولون استعادة ممالكهم ليقوموا فيها امارات صغيرة فان خرطوم تكون مستثناة لاهميتها في راحة البلاد المصرية وان البحر الاحمر لما كان تابعاً لقنال السويس ومرتبطاً بطريق الهند فمصالح انكلترا تقضي بان تكون الثغور المصرية « من اسكندرية الى ماوراء عدن فتدخل رشيد وضمياط وبور سعيد وسواكن ومصوع » بيد الانكليز مادام المصريون عاجزين عن الدفاع عنها ووضح من خطابه (ناظر الجهاديه) ان افكار الوزارة في هذه الاوقات متجهة لان تحل عساكرها في مسافات طويلة من السودان الشرقي لعلمها بلزوم اتصال شواطي البحر الاحمر بالمراكز التي تبقى في السودان وان توصل سواكن ببربر وبربر بخرطوم . وهذا الراى الذي ابداه ناظر الجهادية يستدعي حلولا في مصر الى مدة اطول من المدة التي صرح بها سابقاً .

كانوا بداوا في أستدعاء قسم من المساكر وصموا عَلَى استدعاء قسم اخر منها لكنهم الان لا يريدون الا تقرير حكومة اهلية (كذا) قادرة ان تقوم بنفسها وتأتي اعمالا مفيدة لبلادها وبعدما كانوا يستعملون الالفاظ المبهمة في شانهم مع مصر صرحوا بالحالة التي يجب ان تكون عليها مصر حتى تتركها انكلترا وشانها و يريد ناظر الجهادية بحكومة ثابتة قادرة ماتكون موضع الثقة لرعاياها والاوربيين المستوطنين في البلاد ومحل امن للنقود التي تجمل اليها (ديناً وقرضاً) ٠

قالت جريدة التان بعد ذكرها هذه المباحثة ان الوزارة الانكليزية حادت عن منهجها الاول وصرحت بقبول التبعة في مداخلاتها التي كانت تومل التخلص منها متى ارادت الا انها الان حملت حملا ثقيلا عَلَى ماليتها وسياستها الخارجية ٠ انها لم تصرح بكلمة حماية حتى اليوم ولكنها المرادة من عباراتها وتزعم انها مساقة اليها قهرا لغرض ان تمنح مصر ادارة قويمة وجهادية منظمة وقضاء عادلا وهذه الحماية تمتد من شمال الدلتا الى خرطوم ومن خرطوم الى البحر الاحمر ولكن يصعب عَلَى انكلترا ان تنال هذه الحماية مالم تناقش في الحساب بين يدي اوربا وانا لناسف عَلَى فقد اللورد بيكو نسفيلد ونتمنى لو كان حيا حتى يذكر الموسيو غلاد ستون بخطبه المشتعلة غيظا المفعمة لوما وتقريعا عَلَى من يميل لسياسة الحروب والفتوحات ٠

قالت جريدة الدلي نيوز وهي شبه رسمية ان الوزارة الحالية

﴿ الانكليزية ﴾ في خطر وانه في يوم الخميس الماضي كان الكلام دائرا في مجلس البرلمان على تغيير وزاري وعلى حل المجلس وانه لايمنع من ذلك رفض اللائحة التي قدمها لابوشير في لوم الحكومة ثم قالت ان البلاد (الانكليزية) لابد لها ان تنتهيا لابداء افكارها في شان الوزارة وتصرفها داخل البلاد وخارجها ·

يقال في الدوائر السياسية ان تاخر مستر غلادستون عن الحضور في جلسات المجلس يومي السبت والاحد لم يكن ناشئاً عن انحراف الصحة وانما كان هذا تعللا ومراوغة ليس إلا

الباب العالى

ان كان البرهان يدفع غارة او يهزم عسكرا او يفتح بلادا فهذا اقوى مايكون من البرهان على اوضح حق يوجد ·

كتب مرسل التان في الاستانه كتابا مفصلا عن افكار اعاظم العثمانيين في المسئلة المصرية وما للباب العالي من الحقوق فمما اثبته ان العثمانيين في ضجر من اجحاف انكلترا وجورها عن العدل في معاملة السلطان وعدم الاكتراث بما له من الحق الثابت وتصرفها في مصر بدون مراعاة رضاه وان بعض الرجال العظام بين له حيف انكلترا وتعديها على المعاهدات الدوليه والفرمانات الشاهانية واثبته بادلة منها ماأجابت به انكلترا عن بلاغ الباب العالي الى الدول من نحو

سنتين في بداية الارتباكات المصرية حيث قالت انها ترغب حفظ الحالة المقررة في مصر (الاستاتوكو) عَلَى مقتضى الفرمانات السلطانية والعهود الدولية وانه لايسوغ التغيير فيها بوجه ما الا باتفاق الدول

ومنها نص الفرمان الصادر بتولية توفيق باشا فانه صريح في ان مصر بحدودهـا الطبيعية وملحقاتها تعد من الاملاك العثمانية وانه لايسمح للخديو ان يتنازل عن قطعة ارض منها صغرت او كبرت لاجنبي كائناً من كان لاي سبب ولا باى وجه ولا يسوغ له ان يتخلى عن شيء من الامتيازات الممنوحة لمصر مهما كانت الاسباب والحوادث ولا يجوز له عقد شرط او عهد الا بعد عرضه عَلَى الدرلة ورضاها ويحظر عليه تجديد قرض مالي الا فيما يتعلق بتسوية المسائل المالية التي كانت لذاك العهد .

ومنها ان قنال السويس لم يفتح الا بعد استئذان الباب العالي فكيف ساغ لانكلترا الان ان تتولى فصل السودان عن مصر وان تتناول في فتح قنال آخر وان تتدبر في قرض جديد تحمله عَلَى عواتق الحكومة المصرية وان تتناول حماية الثغور بعساكرها بدون الاتفاق مع الباب العالي ولا مشاورة الدول العظيمة .

وانا في حيرة مما اراد هذا العظيم من اقامة الحجج هل اراد اظهار ما كان خافياً عَلَى دول اوربا وهم يعلمونه حق العلم او بيان ان انكلترا اخطات في فهم هـذه الفرمانات وتلك المعاهدات اوحاول

اقناعها بالدليل والبرهان . ولكنا نعلم ان حكومة بريطانيا لاتفزع من الاحتجاج ولاترهب الجدال فانها تمرنت عَلَى ذلك من ازمان طويلة مع الملوك والامراء الشرقيين وامكنها في احوال كثيرة ان تجيب عما يرد عليها من الاعتراضات وان بلغت مقدماتها من الظهور حد البداهة ولولا هـذا لمـا احتـدت جريدة التمس عندمـا بلغهـا خبر ان غرانفيل طلب من السلطان ان يرسل حامية تركية الى سواكن وبالغت في انكار ذلك بقولها انه مما لايخطر بالبال ثم تعللت بما لايذهب عَلَى فطنة احد حيث قالت ان انكلترا لاتريد ان تجامي عن حقوق السلطان بعد ماصارت بضعفه نسيا منسيا .

ايرلندا

في كل يوم يقيم الانكليز برهانا منطقياً ودليلا جدليا عَلَى انه ماذهب الى مصر الا بقصد اقرار الراحة ووضع قواعد العدالة ولكنه كلما رتب مقدماته لاقناع السذج بقضاياه المشهورة عارضه الايرلنديون ببراهين عملية تنقض ترتيبه وتبطل نتيجته فانه لايمضي وقت من الاوقات الا ولهم فيه عمل لكسر شوكة الحكومة الانكليزية في ايرلندا يضعون الديناميت لتدمير الابنية وهـدم الجسور وتعطيل السكك الحديد ويفتكون برجال الحكومة ويتضجرون من ظلمها ويطلبون كل وسيلة للتملص من سلطتها وهم في سيرهم لايهنون ولا يفترون .